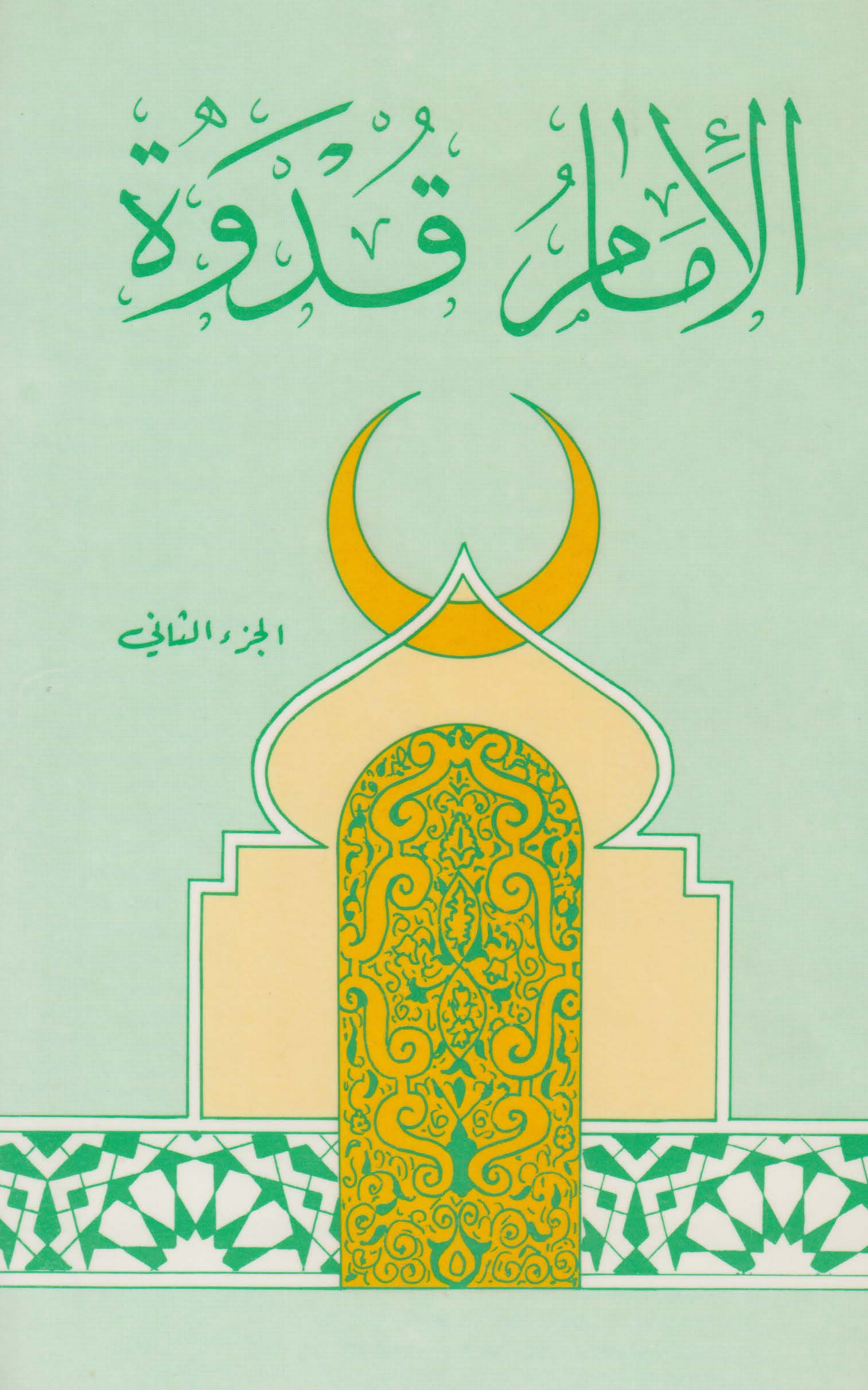
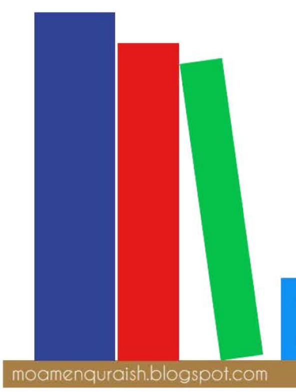


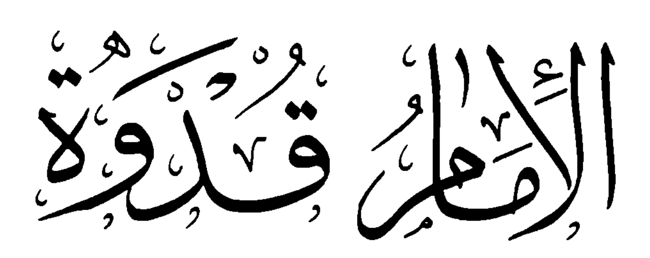
الإمام قدوة
الجزء الثاني



مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)

الإمامُ قُدْوَةٌ



الجزء الثاني

بقلم مجموعة من العلماء الأفاضل

ويتضمن الكتاب مقدمة لسماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الحكيم تتناول القدوة ودورها في عملية البناء ، ومواضع القدوة من شخصية الإمام .. وتجربته الخاصة مع الإمام ..

المقدمة

للتعريف بالخط والمنهج طريقتـان ، طريقـة تستهدف طـرح مضمـون الخط الفكـري أو السيـاسي بـالكشف عن مفـاهيمه وأفكـاره وطروحـاته ، وطـريقة أخـرى تنتخب رموز الخط المعبـرين عنه والمتبنين لـه ومن خلال الحـديث عنهم وعن خصـوصيات حيـاتهم ومـواقفهم الشخصيـة والسيـاسيـة والإجتماعية يتبين معالم الخط والمنهج .

لـواء الصدر في هـذا الكتاب ، الإمـام قدوة ، بجـزئيه والجزء الثالث الذي ينتظر الظهور بعـون الله اختطت الـطريق الثاني إيماناً منها بان أوسع الجمهور يتفاعل مع الرموز الحيـة للخط وينشد إليها ويتفاعل معها أكثر مما يتفاعل مع المفاهيم المجردة باعتبار ان البطل والرمز المجسـد للفكرة والحي منـه بـالخصوص أكثـر قدرة على التـأثيـر في الامـة وفي صنـاعـة مفاهيمها وقيمها السلوكية والفكرية .

وتـأكيدنـا على البـطل الـذي يعبـر عن الخط لا الخط الذي أوجد البطل مرده بالإضافة إلى ما أشرنا إليه سابقاً هو ان

في الخط اجتهادات وتصورات عدة لا يمكن ان نخرجها عن الخط باعتبار إسلاميتها مما يجعلنا ملزمين للتعريف بالخط الذي نؤمن به من مجموع الإجتهادات والطروحات الموجودة في الدائرة الإسلامية وذلك بالتركيز على الرمز والبطل الذي يمثل الخط وفي هذا الظرف بالشكل الأمثل والأفضل ألا وهو إمام الامة قدس سره وخطه المبارك .

ولا نجانب الحقيقة إذ ما قلنا ان الصدى الواسع الذي لاقاه الجزء الأول في مختلف الأوساط والبلدان جعلنا نزيد من إيماننا بالمبررات التي دفعتنا لترجمة هذه المقالات الكاشفة عن حياة إمامنا المفدى قدس سره . . والإستمرار في هذا الطريق .

والجديد في هذا الكتاب اننا حزنا على ذكريات لشخصية علمانية عراقية ولعلها الشخصية الوحيدة التي حظيت بلقاءات عديدة مع الإمام (قدس سره) وفي ظروف حساسة ومواقف خطيرة تلقت أنواره واهتدت بتوجيهاته والتزمت بخطه . . لتحدثنا عن الإمام وعن ذكرياتها معه لتكون أكثر تأثيراً في تعريفها للمزايا العالية لشخصية الإمام في أوساط الساحة العراقية التي عاشت بعض هذه الذكريات والتي هي بأشد الحاجة إلى المزيد من تعميق خط الإمام فيها .

وأخيراً . . نتقدم بكتابنا هذا إلى صاحب العصر والزمان رجاء القبول سائلين الله ان يوفقنا للمزيد من التعريف

بنائبه وحامل لـوائه . الممهـد لظهـوره . . داعين الله لإمامنـا المفـدى بالعمـر المديـد إلى ظهور صـاحب الأمر عجَّـل الله فرجه .

لواء الصدر



الامام قدوة

بقلم

حجّة الإسلام والمسلمين

محمد باقر الحكيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

عندما يتحدث الإنسان عن القدوة الصالحة وأثرها الروحي والإجتماعي ويكون إمامه نموذج صالح لهذه القدوة يشعر بالحرج والرهبة حيث لا يكون الإنسان أمام تجربة طرح المفاهيم والأفكار فحسب وانما يكون أمام معالجة تأثير هذه الأفكار والمفاهيم في النفس الإنسانية من خلال مدى تجسيدها وأهمية هذا التجسيد الذي يعتبر من أشد القضايا تعقيداً وأكثرها عناء في حياة الإنسان لأن هذا التجسيد هو الذي يمثل الجهاد الأكبر (جهاد النفس) ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ الشمس / ٩ ، ١٠ . ﴿والعصر ان الإنسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ . ويمثل بالتالي القيمة الحقيقية للإنسان عند الله سبحانه التي كرّمها بها على سائر مخلوقاته ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ الإسراء / ٧٠ ، ﴿ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

ولـذا سـوف أكتفي بـطرح بعض المـلاحـظات حـول القدوة ودورها . ثم بعض مواضع القدوة في سلوك إمام الامة قدس سره . ولفتات سريعة حول بعض مـا لاحظتـه عن قرب في شخصية هذا الإمام . . .

* * * * * * * *

القدوة ودورها في عملية البناء

ـ منهج القرآن في التغيير الإجتماعي :

لقد اتبع القرآن الكريم والإسلام العظيم في عملية التغيير التي مارسها تجاه المجتمع منهجين أساسيين .

أحدهما : منهج مخاطبة العقل والالفات إلى مختلف الظواهر القائمة في عالم التكوين سواء فيما يتعلق بالظواهر السماوية والأرضية أو التي تختص بالنفس الإنسانية أو السنن التي تتحكم في تاريخ الإنسانية ، من أجل ان يرسم للإنسان الطريق الصحيح المستقيم نحو الكمال والسمو . . واعتبر العقل الإنساني هو الدليل الأول له في مسيرته الشاقة .

عن أبي جعفر (ع) قال : « لما خلق الله العقل استنطقه وجعله أساس الثواب والعقاب ثم قال له : أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر ثم قال : ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ولا أكملتك إلاّ فيمن أحب اما اني إياك آمر

وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب » .

وأكد على دور ذوي العقول والألباب ومنهج التدبر والتفكير في الوصول إلى الحقيقة .

الثاني : مخاطبة الوجدان الذي أودعه في فطرته وهو تلك الاحساسات الفطرية التي يتجه إليها الإنسان ويرى فيها موازين الكمال والنقصان والسمو والسقوط . . والبغض أو المدح والذم أو الحسن والقبح فالإنسان يميل إلى العدل والإحسان والايثار والشجاعة . . ويحب هذه الصفات ويبغض الظلم والكفر والاستئثار والجبن . . وينفر منها .

ومن أجل ان يوجه القرآن الكريم والإسلام العظيم الإنسان نحو مراتب الكمال ويبعده عن التردي والنقصان يؤكد هذه المعاني السامية ويبين له مصاديقها ومعالمها ويبعده عن مواضع السقوط والتردي ويشخص مواردها وأفرادها .

وإلى جانب ذلك كله جبل الله الإنسان على غرائز ورغبات وزين له الشهوات **﴿زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾** آل عمران/ ١٤ . . بحيث أصبحت هذه

---

(١) أصول الكافي ١/ ١٠ راجع بهذا الصدد الحديث ١٤ من كتاب العقل والجهل ج١/ ٢٠ فانه يفي بالمقصود .

الأشياء وغيرها عوامل مؤثرة على إرادة الإنسان ومسيرته ، تجذبه أو تدفعه نحن السقوط في الهاوية وتشده نحو الأرض وتكبله بالقيود والأغلال .

هذه العوامل التي يسميها القرآن بالهوى ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه**﴾ الأعراف / ١٧٥ ـ ١٧٦ . ﴿**أفمن كان على بينة من ربّه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم**﴾ محمد / ١٤ .

وبذلك ازدادت مسيرة الإنسان تعقيداً ومعاناة حيث وجد إلى جانب ذلك الميل الفطري نحو الكمال هذا العامل الغريزي المؤثر في الإنسان والدافع له نحو الهاوية .

وأصبح أمام الإنسان ان يوفق بين هذين العاملين ويتبين موضع أقدامه في مسيرته الطويلة حتى يحقق الكمال .

وقد اهتم القرآن الكريم والإسلام العظيم برسم معالم المسيرة أمام الإنسان وهدايته وبعث الله الأنبياء والرسل لتحقيق هذه الهداية ﴿**هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾ . الجمعة / آية ٢ .

﴿**كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين**

ومنذرين﴾ البقرة / آية ٢١٣ .

* فلسفة القدوة في منهج التغيير الإجتماعي :

ولكن تبقى أمام الإنسان مجموعة من المشاكل الدقيقة كانت بحاجة إلى التوضيح والابانة حتى يكمل مسيرته .

الأولى عقلية : فان المفهوم قد يكون واضحاً ولكن الموقف الذي ينسجم مع المفهوم قد يعتريه شيءٌ من الغموض بحيث يكون بحاجةٍ إلى التشخيص والوضوح من خلال ممارسة عملية خارجية وهنا يأتي دور القدوة الصالحة التي تجسد الموقف الصحيح المنسجم مع المفهوم الإسلامي ، **﴿أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلاّ ان نصر الله قريبٌ﴾** البقرة / ٢١٤ .

الثانية روحية ونفسية : فالإنسان قد يكون له الوضوح الكامل في الطريق ومعالمه ولكنه يشعر بالضعف والعجز في كثير من الأحوال ويتلكأ ويسقط في الطريق نتيجة لذلك لولا العناية الإلٰهية . ومن هنا فهو يحتاج إلى من يشق الطريق أمامه ليكتسب الشجاعة اللازمة والمعنويات العالية في اقتحامه هذا الطريق الشائك ويأتي هنا دور القدوة الصالحة التي تشق الطريق وتفتح السبيل أمام كل أولئك الضعفاء على اختلاف مراتبهم .

الثالثة : ان الحقيقة قد تشتبه بالادعاء ، والواقع بالرغبة ، والفعل بالقول . فيصبح الادعاء مورداً للشك باعتبار قلة التجربة أو عدم الاطلاع على كل الظروف المحيطة بالادعاء وأبعادها ، بحيث يتخوف الإنسان من الخديعة أو التضليل والتغرير ، ويأتي دور القدوة التي تقرن القول بالعمل وتجسد الادعاء وتصدق الحقيقة . . وبذلك يصبح القول المقرون بالعمل أكثر تأثيراً في النفس لما فيه من دلالةٍ على قناعة وإيمان حقيقي من قبل الآخرين . لان القناعة والإيمان يكون لها تأثير في النفس لما فيها من الدلالة على صدق التجربة وصحة الادعاء والإستعداد للمواساة وتحمل الاعباء والمشاكل ﴿**يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾ الصف ٢ ـ ٤ .

الرابعة : ان المفهوم المطروح للمثال قد يتهم بانه مفهوم مثالي لا يمكن تحقيقه خارجاً وانما هو مجرد طموح نحو الكمال وتخيل لدرجات السمو باعتبار اتجاه الإنسان إلى الخيال والطموح ويأتي دور القدوة من أجل ان يؤكد واقعية المفهوم والقدرة على تطبيقه وتجسيده خارجاً .

وبالإضافة إلى كل ذلك يمكن ان يكون للقدوة دور مهم في ايجاد القناعة واليقين بقضايا كثيرة لا يمكن الاقناع بها إلاّ من خلال القدوة الصالحة حيث ان القناعة وحسن

الظن بهذه القدوة من خلال السلوك المتكامل تفرض قياساً طبيعياً وروحياً للمساواة بين تلك الممارسات الحسنة والسلوك الجيد الذي يلتزم به هذا إنسان (القدوة) وبين بقية الممارسات الأخرى التي يقوم بها بحيث ينتهي الأمر إلى سريان الإلتزام والإيمان إلى تلك الممارسات .

وفي هذا المجال وردت الروايات التي تؤكد على الدعوة إلى الله من خلال الإلتزام والعمل . فقد نصح الأئمة (ع) شيعتهم ان يكونوا دعاة لهم بأعمالهم وان يكونوا دعاة صامتين .

وبذلك تصبح القدوة الصالحة دليلاً قائماً بنفسه ومنهجاً للهداية يؤثر في الوقت نفسه على العقل والوجدان ويجمع إلى جانب ذلك الوضوح والشجاعة والثبات .

وبهذا الإستعراض القصير لبعض آثار القدوة على مسيرة الحياة التغييرية يمكن ان نعرف بان القدوة تعبير من أفضل الأساليب التي يمكن ان يتم التخاطب بها مع العقل والوجدان معاً . ولعل هذا الدور هو أحد أهم ما يفسر به اشتراط العصمة أو العدالة بدرجة عالية في القيادة الإسلامية حيث يمكن ان يكون لهذه القيادة دور القدوة والهداية إلى جانب المفاهيم والأفكار التي تطرحها الشريعة .

* تأكيد القرآن على دور القدوة :

ولـذلـك نجـد القـرآن الكـريم يؤكـد على دور القـدوة والتأسي في مسيرته التغييرية . وقد نهج القرآن لذلك خـطين رئيسين .

الأول : الخط الـذي يؤكد على دور الاقتـداء والتأسي ويأمر بهمـا بشكل مبـاشر حيث ورد في مجمـوعة من الآيـات التأكيد أو الإشارة إلى ذلك مثل قوله تعالى :

﴿لقـد كان لكم في رسـول الله اسـوة حسنـة لمن كـان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ الأحزاب / ٢١ . .

﴿أولئـك الـذين هـدى الله فبهـداهم اقتـده . .﴾ الأنعام/ ٩٠ ، ﴿قد كانت لكم اسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنَّـا براء منكم وممـا تعبدون من دون الله كفـرنا بكم وبـدا بيننـا وبينكم العـداوة والبغضـاء أبـداً حتى تؤمنـوا بالله وحـده الا قول إبـراهيم لأبيه لاستغفـرنَّ لك ومـا أملك لـك من الله من شيء ربّنـا عليـك تـوكلنـا وإليـك أنبنـا وإليك المصير﴾ الممتحنـة / ٤ ، ﴿واصبر كمـا صبر أولـوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم . .﴾ الأحقاف / ٣٥ .

الثاني : القصص والأمثال التي ضـربها القـرآن الكريم كـان الهدف منهـا الإعتبـار والاقتـداء والتـأسي والإعتبـار من خلال استنباط القـوانين والسنن التاريخيـة كما هـو واضح من

خلال بيان أهداف هذه القصص ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ يوسف / ١١١ .

﴿وكلا نقص عليك من أبناء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ هود / ١٢٠ .

﴿أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب﴾ البقرة / ٢١٤ .

﴿ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ، ونجني من القوم الظالمين ، ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين﴾ التحريم / ١١ ـ ١٢ .

*** القدوة الصالحة والقدوة الفاسدة :**

وكما ان القدوة الصالحة تمثل عنصراً أساسياً في عملية البناء للمجتمع الصالح ، كذلك نجد القدوة قد تتخذ بعداً تخريبياً للمجتمع عندما تكون العناصر التي يقتدى بها الأفراد في المجتمع عناصر فاسدة وبالتالي تؤثر في أفراد المجتمع تأثيراً عكسياً بحيث يتحول هؤلاء الأفراد إلى مجرد اتباع مسلوبي الإرادة والعقل والضمير تؤثر فيهم القوة والهيمنة

المادية لهؤلاء الأفراد . . وهذا التأثير أمر طبيعي باعتبار الدور الخاص للقدوة في التأثير الإجتماعي . . ولذلك نجد القرآن الكريم يشير إلى بعض هذه النماذج الفاسدة والمؤثرة ويحذر منها ويذكر النهاية السوداء التي تنتظر أولئك الأتباع في المستقبل . . ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشّد حباً لله . ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ان القوة لله جميعاً . وان الله شديد العذاب . إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ البقرة/ ١٦٥ ـ ١٦٧ .

﴿وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء . قالوا لو هدانا الله لهديناكم . سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ إبراهيم / ٢١ .

ولذلك يصف القرآن الكريم الأئمة الذين يقودون المجتمع ويمثلون العناصر المؤثرة فيه إلى قسمين « أئمة يهدون إلى الجنة والحق وأمر الله » و « أئمة يهدون إلى النار والضلال والفساد » .

﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ السجدة/ ٢١ .

﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة من المقبوحين﴾ القصص / ٤١ .

وأمر الله سبحانه اتباع الهداة إليه لأنهم يدعون إلى الحق والصلاح . .

﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي إلى الحق أفمن يهدي إلى الحق أحق ان يتبع أمن لا يهدي إلاّ ان يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ يونس / ٣٥ .

وبهذه الطريقة يضع القرآن الكريم الموازين التي يجب ان يؤخذ بها مقياساً في القدوة الصالحة التي لا بدّ للإنسان ان يربط مصيره بها .

وأهم هذه الموازين هو الدعوة إلى الحق و (العقيدة الصالحة) والتقوى والصبر والثبات على الطريق المستقيم . . والسير في طريق الكمال الإنساني . والإبتعاد عن مزالق الهوى والعجب والظلم والإستكبار . . حيث نجد هذه المواصفات مبثوثة في القرآن الكريم . كما اننا نلاحظ ان قوى الكفر والضلال تحاول ان تطرح في المجتمع العناصر الفاسدة كقدوة للناس وتحيطهم بهالة من الإعجاب والثناء والشهرة الأمر الذي يؤدي إلى الاقتداء بهم والتأسي بسلوكهم الفاسد وأعمالهم القبيحة .

*** تأثير الحرب والموقع الإجتماعي في القدوة الصالحة :**

وتزداد القدوة أهمية خاصة في التأثير والفاعلية عندما يكون الشخص القدوة يتصف بميزتين رئيستين :

الأولى : رابطة الحب والود مع الناس : حيث ينتقل العمل الصالح الذي يمارسه القدوة إلى هؤلاء الناس ليس من خلال عقولهم فحسب وانما يأخذ طريقه إلى قلوبهم ووجدانهم من خلال هذه العاطفة المؤثرة والمحركة لإرادة الإنسان وينتقل هذا الحب من شخص القدوة إلى كل تصرفاته وأعماله . وبذلك تزداد مسؤولية الإنسان القدوة تجاه أعماله وأقواله عندما يكون محاطاً بهذا اللون من الحب والود بين الناس .

الثانية : الموقع الإجتماعي : مثل ان يكون الإنسان القدوة زعيماً في المجتمع أو ولياً لأمر المسلمين أو مرجعاً دينياً عاماً . حيث يكون هذا الموقع الإجتماعي عاملاً طبيعياً في التأثير والاتباع حسب القاعدة المعروفة (والناس على دين ملوكهم) لأن موقع القدوة والقوة يكون له تأثير في نفوس الكثير من العامة الذين يشعرون بالضعف تجاه القدوة والهيمنة .

ولعل هذا هو السبب الرئيسي في احتلال الكثير من الملوك والمترفين والطغاة لموقع القدوة في المجتمع بالرغم من تفاهة شخصياتهم أحياناً وفسادهم وظلمهم وارتكابهم

الكثير من الأعمال المشينة المنفرة لأفراد المجتمع أحياناً أخرى . كما أشير إلى ذلك في بعض الآيات السابقة .

ولذلك عندما يصبح هذا الزعيم إنساناً صالحاً سوف يكون له تأثير بالغ في الامة وتزداد أهمية القدوة فيه .

بالإضافة إلى بعد آخر في هذا الموقع الإجتماعي عندما يكون قدوةً صالحةً هو ما يعبر عنه من الكمال الإنساني . . حيث ان الموقع الإجتماعي يمثل أسلوباً من أساليب الإختبار والإمتحان ، فان الزعامة والولاية تتحول إلى معاناة قاسية على مستوى النفس والإرادة واختباراً للإرادة العالية والصبر على تحمل المشاكل والضبط للهوى والحذر والإحتياط من الإنزلاق في مزالق الهوى أو التردي في هاوية الشهوات ، الأمر الذي يعني ضرب أروع الأمثلة في القدوة الصالحة .

وتزداد هذه الأهمية عندما يكون القدوة يعيش ويتواجد بين هؤلاء الناس فعلاً حيث يمكنهم ان يدركوا كل الظروف التي أحاطت بالسلوك والمسيرة ويصبح التجسيد حقيقة قائمة دون ان تتحول إلى مجرد موقف تأريخي لا تتحسس ظروفه .

ولهذه الأهمية التي يتمتع بها القدوة الصالحة في عملية التغيير الإجتماعي والبناء الذاتي لأفراد المجتمع ، نجد أعداء الإسلام والحق يحاولون دائماً ، عندما يعجزون عن محاربة الأفكار والمفاهيم والعقائد ، يعملون على

محاربة القدوة الصالحة في المجتمع ومحاولة تشويه صـورتها لأنهم يدركون ان هدم القدوة الصـالحة سـوف يؤدي بالتـالي إلى الضيـاع والتيـه في مسيـرة التغييـر والبنـاء بعـد ان تفقــد المسيـرة ربانهـا المجسد ـ ولـو بدرجـة معقولـة ـ لمفاهيمهـا ومعالمها واقعياً وخارجياً .

وقد أشرنا إلى مجموعـة من هذه الأسـاليب التي يتبعها أعداء الإسلام لإسقاط القدوة في بعض محاضراتنـا ولكن قد نذكر بعضها عندمـا نتحدث عن مـواضع القـدوة في شخصية الإمام . ومن هنا يصبـح تدوين مسيـرة الصالحين وخصـوصاً البارزين منهم ونشر تفـاصيل حيـاتهم وسلوكهم عملاً تبليغيـاً رائعاً وخدمة إسلامية صادقـة لأن ذلك يـوسع من دائـرة تأثيـر القدوة باتساع دائرة الاطلاع على مواطن الاقتداء فيها .

مواضع القدوة
في شخصية الإمام (قدس سره)

في البـدايـة أود ان أشيـر إلى خصـوصيتين مهمتين في شخصية الإمام لهما أهمية خـاصة في قضيـة التأسي بـالقدوة بـالإضافـة إلى خصوصيـاته الكمـالية والسلوكيـة التي تـرتبط بـالعلم والتقوى والشجـاعة وحسن التـدبير والإهتمـام بإبـلاغ الحجـة إلى كـل الأوسـاط . ثم بعـد ذلـــك أشيـر إلى بعض النقاط السلوكية في مسيرته الجهادية بالمقدار الذي تسمح بـه هذه المقدمة .

*** روح الله بين رعية الله :**

الأولى : ان إمـام الامـة (قـــدس ســره) يجمـــع بين صفتين متضادتين عادة في مجال التنفيذ والعمل :

أ ــ صفة الإحتفاظ بـالسلوك العالي المتميـز والطهـارة والنظافة العمليـة والإحتياط والإبتعـاد عن مواطن الشبهـات ، وكما يفرضه موقعه الديني كمرجع للمسلمين يرتبطون بـه لأن

يمثل رابطة الوصل بينهم وبين الله ، هـذا السلوك الذي يؤدي عـادة بالكثيـر من الناس إلى العـزلـة والإبتعـاد عن المجتمـع ومشاكله المعقدة .

ب ــ صفة الإهتمام بـالقضايـا الإجتماعيـة والسياسيـة التي تعيشهـا الامة وتفـاصيل المشـاكل التي تـواجهها وطـرح الحلول لهـذه المشاكـل في ضوء الإسـلام واتخـاذ المـواقف السياسية والإجتماعية من أجل مواجهة كل هذه الأحداث .

وهـذه الخصيصة هي الأمـر الذي يتميـز به كـل القـادة الرساليين كـالأنبياء والسـائرين على منهجهم فهم في الـوقت الذي يجسدون الإرتباط بالسماء ومعانيها السامية لا ينفصلون عن الأرض وقضـاياهـا . فهم يعيشون بين أهـل الأرض بكل معاناتهم ليرسموا لهم خط السماء .

وحين حاول واحد من هؤلاء الأنبيـاء في لحظة انفعـال ان ينصـرف عن أهل الأرض لانحـرافهم وضلالهم عـاقبه الله سبحانه وامتحنه بقسوة :

﴿وذا النـون إذ ذهب مغاضبـاً فـظن ان لن نقـدر عليـه فنادى في الظلمـات ان لا إله إلاّ أنت سبحـانك اني كنت من الظالمين﴾ . الأنبياء / آية ٨٧ .

﴿فـاصبر لحكم ربّـك ولا تكن كصـاحب الحـوت إذ نادى وهو مكظوم لولا ان تـداركه نعمـة من ربّه لنبـذ بالعـراء وهـو مـذمـوم فـاجتبـاه ربّـه فجعله من الصـالحين﴾

القلم / ٤٨ ـ ٥٠ .

فالعزلة عن المجتمع وقضاياه في بعض الأحيان خوفاً على الدين والأخلاق ـ كما يصنع البعض ـ يشبه الفرار من الزحف في ميادين القتال ، وشأنها شأن الإنسان الذي لا يدخل المدرسة ولا يطلب العلم خوفاً من نتائج الإمتحان والإختبار . . لأن المسؤولية والوظيفة الشرعية تفرض الدخول في ميدان الصراع الإجتماعي مع قوى الضلال والكفر وأحزاب الشيطان وأوليائه من أجل ترسيخ دعائم الحق وترسيم طريق الهداية .

ولكن في الوقت نفسه لا بدّ للإنسان ان يتمسك بالأخلاق الفاضلة والموازين الشرعية والقوانين الإسلامية والمعاني السامية التي تجسد التقوى والعلاقة بالله سبحانه . وبذلك يتعرض الإنسان إلى الإختبار والإمتحان ويستحق الثواب والأجر .

* الزعيم الديني في منهج الفرد العادي :

الثانية : ان الإمام تمكن إلى حد بعيد ان يحتفظ بالسلوك الإجتماعي نفسه الذي كان يمارسه قبل ان يصبح زعيماً مطلقاً ومؤسساً للجمهورية الإسلامية والفقيه المبسوط اليد في الامة ، سواء في المستوى الروحي أو في مستوى العلاقات مع الجماهير أو في أساليب الحياة المعيشية والإدارية . ولم يتجاوز ذلك إلاّ بالقدر الذي تفرضه الأوضاع

الصحية الخاصة أو الظروف الأمنية القاسية .

ويمكن ان يلاحظ ذلك بوضوح من خلال أحاديثه أو علاقاته بالآخرين أو منحه الفرصة للإلتقاء ـ باستمرار بالمجاهدين والناس ـ أو ممارساته الشخصية في المأكل والملبس والمسكن .

وذلك بالرغم من ضخامة المسؤوليات التي يتحملها والموقع السياسي الرسمي الذي يتبوأه ونمو العواطف والأحاسيس الجماهيرية تجاهه سواء على المستوى الكيفي أو الدائرة الكمية الواسعة التي شملت قطاعات من المسلمين في كل مكان ومن مختلف المذاهب والأقوام .

* ملامح للقدوة الصالحة في المسيرة السلوكية :

هناك ملامح كثيرة للقدوة في مسيرة الإمام السلوكية يمكن ان يتبينها الإنسان من خلال ملاحظته وقراءته لمسيرة السلوك الخاص التي تحدث عنها (هذا الكتاب أو الجزء الذي قبله ـ الجزء الأول ـ) كما يمكن ان نتبين ذلك من خلال المواقف المعروفة للإمام في مسيرته الجهادية ، ولكن أود ان أشير هنا إلى بعض هذه الملامح :

١ ـ المبدئية في الإلتزامات السياسية والمواقف الجهادية ، حيث يبدو ذلك واضحاً من خلال مواقف الإمام تجاه نظام الشاه ، وقوى الإستكبار العالمي ، وقضية الحرب العدوانية ، والقوى السياسية المنحرفة ، ونصرة الشعوب

المستضعفة ، والأبعاد السياسية للعبادات الإسلامية . . . الخ .

ويبدو الإمام في كل ذلك غير متأثر بالضغوط التي مارستها قوى الطغيان هذه أو الأساليب الإعلامية الخبيثة التي كرست للتأثير على قراره المبدئي .

* * *

٢ ـ الإهتمام بالامة ومشاكلها سواء في نطاق أبناء الشعب الإيراني المسلم أو في نطاق الشعوب والامة الإسلامية والإعتماد عليها والثقة بها ومخاطبتها بشكل مستمر .

ومن خلال الإصرار على ذلك تمكن الإمام ان يعبيء الشعب الإيراني المسلم ويحدث التغيير الإجتماعي بواسطة هذا الشعب وبقدراته الذاتية و « بالقبضات وشعار « ألله أكبر ») .

* * *

٣ ـ الصمود والصبر والمواظبة على العمل الجاد بحيث لا يتسرب الكلل أو الملل لإرادته مع الدقة في التنفيذ والتعامل بروح الأمل والثقة بالمستقبل مهما اشتدت الأزمات أو ادلهمت الخطوب .

وفي تجربة الصبر والصمود في مواصلة النضال ضد الشاه طيلة ما يزيد على الخمس عشرة سنة بالرغم من السنين

الشداد التي كان يبدو فيها الطرق وكأنه على الحديد البارد . وكذلك تجربة الصمود في وجه الحرب العدوانية ضد قوى الإستكبار العالمي التي تشهدها الجمهورية الإسلامية وغير ذلك من الموارد أفضل شاهد على هذه الحقيقة .

وأتذكر بهذا الصدد ان النداءات التي كان يطلقها الإمام في النجف الأشرف ضد حكومة الشاه بين الحين والآخر كانت تبدو للكثيرين وكأنها شيء من العبث بعد ان كان التصور السائد هو عدم امكانية زحزحة حكومة الشاه ، ولكنه بقي مصراً على موقفه حتى حقق الله أمنياته بسقوط حكومة الشاه وقيام الحكم الإسلامي .

* * *

٤ ـ الحسم والحزم والوضوح في اتخاذ القرارات في الأمور الهامة ، كما نشاهد ذلك بوضوح في بعض المواقف الحرجة ، فعلى سبيل المثال : يواجه الثائرون المسلمون قضية الهتاف بسقوط الشاه في مسيرة التاسع والعاشر من محرم المليونية سنة ١٣٩٩هـ ويهدد الشاه بضرب هذه الملايين بالرصاص إذا رفع هذا الشعار ويسمح بكل الشعارات دونه ويتردد العلماء في الموقف وهم يواجهون مذبحة كبرى . ويحسم الموقف الإمام وهو في باريس ويطلب رفع هذا الشعار . وتهتف الملايين بسقوط الشاه ويسقط بعد نحو شهرين تقريباً . والشيء نفسه نجده عندما طلبت حكومة بختيار من الناس عدم الخروج إلى الشوارع

في ٢١ بهمن ٥٧ وهددت بمذبحة كبرى ويتردد كل القادة في الموقف ويحسم الأمر إمام الامة بان يأمر الناس بالخروج ويشاء الله ان تنتصر الثورة بذلك .

* * *

٥ ـ عدم الإنفعال بالأحداث والأزمات أو التورط في الخلافات الجانبية . فإنّ الإمام يحاول دائماً ان يجعل المعركة والجهد متجهاً نحو الأهداف الأساسية دون ان يقع تحت تأثير التطورات المفاجئة .

فقد واجهت الثورة محاولة لجرها إلى صراع جانبي عندما قامت زوجة الشاه بزيارة أحد المراجع في النجف الأشرف في الوقت الذي كانت الدماء تجري غزيرة في إيران في قمة أحداث الأشهر الأخيرة للثورة ولكن الإمام امتنع ان يقع تحت تأثير هذا الحدث وأمر بالسيطرة على كل الإنفعالات الجماهيرية وردود الفعل التي كان يمكن ان تحدث تجاه هذا الحادث والتي كانت تؤدي حتماً إلى إرباك صفوف الثوار وانشغالهم بمعركة جانبية ، وجنب الثورة أعظم المخاطر .

ونفس الموقف كان تجاه أحداث تبريز التي كان وراءها « حزب الشعب المسلم » وامتداداتها السيئة في مدينة قم . وقراره بتجنب المعركة الهامشية ، حيث كانت البلاد تعيش ازمة الحصار الأمريكي .

وكذلك الموقف تجاه العدوان الواسع على الجمهورية الإسلامية من قبل نظام صدام الذي واجهه بالصمود والتقدير الواقعي له .

والموقف من الغزو الإسرائيلي للبنان بعد فتح خرمشهر بالرغم من ان فورة الإنتصار كانت تدعو الكثير من القادة الإسلاميين إلى الإندفاع وراء قضية التواجد في لبنان بشكل واسع ونقل المعركة إلى إسرائيل وصرفها عن العراق . ولكن الإمام وقف في وجه ذلك .

* * *

٦ ـ اعطاء الفرصة للإمتحان والإختبار سواء على المستوى الفردي أو الشعبي . هذا الخلق الذي يستمد جذوره من الثقة بالله والإعتماد على النفس والأهداف الصالحة .

ففي تجربة الوزارة الأولى المؤقتة للجمهورية الإسلامية ، وتجربة الصراع مع بني صدر عندما بدأ بالإنحراف ، وتجربة الحريات السياسية للأحزاب العلمانية وشبه العلمانية . وغير ذلك من التجارب العامة والخاصة أفضل شاهد على هذه الحقيقة .

وكان الإمام في هذا المجال يحاول دائماً ان يجعل الامة مدركة للوقائع والأحداث بنفسها وواعية لدورها مبتعداً عن قضية التدخل في الجزئيات والتفاصيل إلاّ في المواقع

الحساسة التي يشعر ان الأمة تكـون فيها بحـاجة إلى التـوجيه والهداية كما حصل ذلك في قضايا الإنتخابات الأولى .

فالإمام يتدخل في توجيه الامة من أجل ان يثبت قضيـة مجلس الخبـراء . ويتدخـل في توجيـه الامـة لارشـادهـا إلى النظام الصحيح الذي تختاره (جمهـورية إسـلامية) لا تـزيد كلمة ولا تنقص ، بعد ان حـاول بعض الناس ان يـزيد كلمـة ديمقراطية أو شعبية .

ولكن يتـرك الخيـار لـلامـة ان تنتخب رئيسهـا دون ان يتدخل في تزكية أحـد من المرشحين بعـد ان كان هـذا الأمر من صلاحياته . وتصبح دائرة المنافسة واسعة لتكشف بشكـل واضح عن قوة الخط الإسلامي .

* * *

٧ ــ البسـاطة والـزهد في الحيـاة المعيشية . فـلا زال الإمـام مثلاً يصـر على ان يكون المنـزل الـذي يسكنـه منـزلاً بسيطاً قدَّمـه له العـالم المحلّي في قريـة جماران على شكـل عارية وهو منزل العالم نفسه الذي كان يسكنه قبل الثورة .

ويستقبل الناس في الحسينية المتواضعـة التي صممت وبنيت في جـوار منزل هـذا العـالم لأهـل القـريـة ولم يـوافق الإمـام ـ كما حـدثني هذا العـالم نفسه ـ ان تصقـل الحسينية ـ التي يستقبـل بها كـل الطبقـات من النـاس بـالإضـافـة إلى المسؤولين ـ ـ تصقـل بالجص الأبيض ـ كمـا هي العـادة في

الحسينيات المتواضعة . . ويستخدم في حياته المنزلية الأجهزة المنزلية البسيطة وكذلك الحال في الفراش والأدوات والمأكل . . .

وقد كان هناك منزل للإمام مملوك له في قم أخرجه من ملكه بالوقف العام وأرض في خمين موروثة من أبيه أوكل التصرف بها في شؤون الفقراء إلى ممثله في خمين ، وقد رأيت ما كتبه الإمام لممثله بهذا الشأن .

وقد تكون الملامح السابقة التي ذكرتها ـ تزداد أهميتها ـ في شأن القادة والزعماء ـ ولكن هناك الكثير من الملامح يمكن ان يجدها الإنسان في حياة الإمام لا تختص بهؤلاء بل يجد فيها الفرد العادي أيضاً القدوة الصالحة والسلوك الهادي ولذلك نجد ضرورة الإهتمام بقراءة سلوك هؤلاء الصالحين ليتبين الإنسان مواضع العبرة والقدوة والأسوة في حياتهم وسلوكهم .

* * *

* محاولات التسقيط تجاه الإمام :

ومع كل ذلك نجد ان الإمام لا ينجو من محاولات التسقيط والهدم والإتهام شأنه في ذلك شأن القادة والهداة في تاريخ البشرية :

١ ـ فقد اتهم الإمام بالمثالية والخيالية في تصوراته ولا

زال يتهم بذلك بشأن بعض المواقف كما اتهم الأنبياء بالشعر والجنون .

ففي صراعه مع الشاه كانت هذه التهمة رائجة وانه يتخيل امكان اسقاط هذا النظام .

٢ ـ كما اتهم الإمام أيضاً بالإفتراء . كما نجد هذه التهمة يطلقها أعداء الإسلام ضده بشأن تفسيره للدين وارتباطه بالمواقف السياسية أو تفسيره للعبادات كالحج وصلاة الجمعة بأبعادها السياسية . كما اتهم الأنبياء قبله بالإفتراء أيضاً .

٣ ـ الطعن بالأوضاع الشخصية كالتأثر بالحاشية أو الغلو في المواقف والحكم وما أشبه ذلك مما تبثه إذاعات المستكبرين والشياطين وأذنابهم ويروّجه المرجفون والمنافقون كما كان يصنع ذلك برسول الله الذي كان يلمز بالصدقات ويتهم بالسذاجة أو يتهم في أزواجه ونسائه .

وهكذا يتعرض القدوة الصالحة لمثل هذه المحاولات بعد ان ييأس أعداء الإسلام من اسقاط النظرية أو يخافون من مواجهتها بشكل واضح .

ولذلك يصبح الاسلوب الصحيح في مواجهة ذلك هو الإعتماد على المقاييس الموضوعية التي وضعها الإسلام أمامنا لتقييم القدوة الصالحة مثل التاريخ الجهادي ، والمعاناة الطويلة في سبيل الإسلام والقضية ، والتجربة

الإجتماعية القائمة على أساس النظرة العلمية للأشياء لا على أساس الظنون والآثام ، والتقوى والإرتباط بالله تعالى إلى غير ذلـك من المقـاييس التي وضعهـا القـرآن الكـريم والإسـلام العظيم أمامنا[1] .

(١) تحدثنا بشكل مفصل عن هـذه الموضـوعات في محـاضراتنـا حول الحرب النفسية في القرآن .

تجربتي الخاصة مع الامام

وقد يكون من المفيد في هذا التقديم ان أشير إلى جانب من تجربتي الخاصة مع الإمام باعتبارها تمثل جانباً من سيرة الإمام وأتمثل فيها صفة الشاهد لهذه السيرة لا المحلل لها وبطبيعة الحال سوف أقتصر على بيان بعض الملامح بالمقدار الذي تسمح به الظروف والمصلحة الإسلامية .

١ ـ التجربة في النجف الأشرف :

لقد كان منهج الإمام (قدس سره) عندما كان في النجف الأشرف هو عدم التدخل في القضايا السياسية التي تطرأ على الساحة العراقية وكنت أفهم ذلك على أساس تفرغه للقضية الإسلامية في إيران وعدم الانجرار إلى توزيع الجهد على ساحات متعددة خصوصاً وان المرجعية العامة المتصدية حينذاك (مرجعية الإمام السيد الحكيم) كانت تتولى بشكل خاص القضايا في الساحة العراقية . . ولكن بعد وفاة آية الله السيد الحكيم واجهت الحوزة العلمية أوضاعاً استثنائية حرجة كانت بداياتها في الأيام الأخيرة من حياته .

وقد حاول الإمام (قدس سره) ان يلتزم بموقفه تجاه هذه الأحداث أيضاً ، حتى انه على مستوى التصدي للتقليد في العراق لم يبد الإمام ولا صحبه أي نشاط ملحوظ بالنسبة إلى دعوة الناس في العراق إلى تقليده بالرغم من انه كان يرعى طلاب العلوم الدينية من كل الأوساط ومنها العراقية بالرعاية المرجعية المتعارفة .

ولكن عندما واجهت الحوزة ظرفاً استثنائياً ، وهو قرار تسفير كل غير العراقيين من الإيرانيين وغيرهم ، وكان آية الله السيد الخوئي مريضاً قد نقل إلى المستشفى في بغداد وكانت الحوزة تعيش حالة الحيرة والتردد ، نجد الإمام يبادر ولأول مرة باتخاذ قرار تعطيل الحوزة العلمية احتجاجاً على موقف الحكومة البعثية ويطلب من كل الأوساط الحوزوية الإستجابة إلى ذلك واتخاذ موقف موحد إلى حين تراجع الحكومة عن موقفها .

ولا زلت أتذكر موقف شهيدنا آية الله الصدر في هذا المجال وزياراته للإمام من أجل التضامن وترتيب الموقف الموحد . الأمر الذي انتهى بعد ذلك بتراجع البعثيين عن موقفهم ومجيء (علي رضا) مسؤول المخابرات البعثية حينذاك إلى النجف وزيارته للمراجع واعلانه قرار وقف التسفير .

* * *

كما انه كان من الملاحظ في شخصية الإمام التقليل

من حـالة المجـاملات الـروتينية المعـروفة في بعض أوسـاط الحـوزات العلميـة والإهتمـام ببعض القضـايـا الشكليـة الموروثة .

ومن ذلك مثلاً عدم تصدي الإمام لاقامـة الفاتحـة على أرواح العلمـاء الـذين يتـوفـون في الخـارج حيث كـان من المتعارف ان يقيم المرجـع مجلس الفاتحـة لمدة ثـلاثة أيـام وقلصت بعد ذلك لمدة يوم واحد على أرواح هؤلاء العلماء ، بحيث كـانت تتكرر هـذه المجـالس أحيـانـاً عـدة مـرات في الأسبوع ومن قبل مجموعة من المراجع .

كمـا قلص مـدة مـراسيم الجلوس يـوميـاً ـ المعتـادة للمـراجع ـ لعـدة ساعـات في النهار والليـل للقـاء العـام مـع الناس ـ إلى ساعة واحدة مساء وبشكل مضبوط بحيث لا تزيد دقائق على هذا الوقت .

* * *

وقـد حاول الإمـام (قـدس سـره) ان يـدخـل أسلوبـاً جـديداً في منهـج المراجـع العظام وهـو التصـدي للقضـايـا السياسية من خلال الخطب وشرح المفاهيم بشكل مباشر . . بعـد ان كان المـراجع يتصـدون لذلـك ـ في بعض الأحيان ـ عن طريق اتخاذ المواقف أو الرسائل والبرقيات أو الممثلين ، باستثناء ما كان يصدر أحياناً عن الشيخ محمـد حسين كاشف الغطاء الذي كان من كبار العلماء ، وكانت خطاباته وأحاديثـه فيمـا يتعلق بالحكـومـة الإسـلاميـة أو في بعض المنـاسبـات

السياسية والأحداث المستجدة في الساحة الإسلامية الإيرانية لها تأثير خاص بين طلاب العلوم الدينية وأتذكر بهذا الصدد ان آية الله السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي عقد له اجتماع مهم في مسجد الهندي بعد هذا التحرك وصعد المنبر وتناول القضايا السياسية الآنية وكان لهذا الإجتماع دوي في النجف الأشرف .

* * *

وعندما أقدم نظام العفالقة المجرمين على الحكم بالإعدام على خمس من خيرة أبناء العراق فيهم بعض العلماء وبعض المثقفين الرساليين بتهمة التعاون مع حكم أجنبي ـ كان يقصد به حكم الشاه ـ والإنتماء إلى حزب سياسي غير مجاز (حزب الدعوة الإسلامية) ، وتأكد لإمام الامة ان النظام سوف يقدم على تنفيذ هذه الجريمة الشنيعة ، حاول الإمام من خلال جهازه الخاص ان يتدخل في هذا الأمر عندما طلب منه ذلك ويمنع من ارتكاب هذه الجريمة ولكن الأوان كان قد فات حيث نفذت الجريمة في نفس الساعات التي أبلغ الإمام فيها بهذا النبأ ولا شك ان تدخل الإمام كان لا يبعد عن هذه المجموعة الكثير من الشبهات التي تحاول السلطة ترويجها لوضوح موقفه من حكم الشاه .

وأتذكر بهذا الصدد لوناً من الرعاية الخاصة من قبل الإمام حينما حكم عليّ بالسجن المؤبد في العراق في قضية انتفاضة صفر المعروفة ونقلت إلى السجن فقد تعاطف إمام

الامة مع هذا الحادث ـ بالرغم من اني لم أكن محسوباً حينذاك في عرف الحوزة العلمية من حاشيته الخاصة لارتباطي العلمي والحوزوي بآية الله الشهيد الصدر (ره) ـ فكان يتفقد بشكل مستمر أحوالي الخاصة في السجن . فقد حدثني أحد العلماء من أسرتنا ان الإمام كان يسأله كلما التقى به في الحرم الحيدري الشريف ـ وكان من عادة الإمام ان يزور الحرم ليلاً في الساعة الثالثة بعد المغرب وكان من عادة هذا العالم ان يصنع ذلك في نفس الوقت ـ علماً بأن إمام الامة معروف بين الناس انه قليل الكلام في الشؤون الخاصة وقليل العلاقات أيضاً في هذا المجال .

كما انه أرسل خبراً بتوسط أحد العلماء في جهازه الحوزوي وأحد اخواني الشهداء يعرض فيه راتباً شهرياً ويظهر استعداده لكل مساعدة .

ثم شملني برعاية خاصة بعد خروجي من السجن سواء في تفقده الشخصي أو ارسال نجله حجة الإسلام السيد أحمد الخميني وبعض خاصته .

وقد لمست من خلال كل ذلك العطف الخاص الذي يوليه الإمام للطلبة الذين يقدر ان لهم مواقف جهادية وسياسية ، وكذلك للتحرك الإسلامي في العراق .

* **تجربتي الخاصة في إيران :**

لقد خرجت من العراق بعد استشهاد سيدنا ورائدنا آية الله الشهيد الصدر بشهرين تقريباً بعد ان أدركت عدم امكان استمراري في العمل الجهادي في داخل العراق ، خصوصاً وان تهديداً وصلني من مدير الشعبة الخاصة ، بالإضافة إلى وضعي تحت رقابة خاصة ، كما اني كنت معروفاً في كل الأوساط بموقفي وطبيعة علاقاتي ، ونصح بذلك مجموعة من السادة العلماء والمراجع .

وتدبرت الأمر وخرجت بشكل سري بحيث لم يطلع على ذلك حتى أقرب الناس إليَّ باستثناء اثنين من أهل بيتي استشهدوا في سبيل الله .

ووصلت إلى سوريا حيث مكثت هناك لمدة ثلاثة أشهر تقريباً بحثت فيها منهج التحرك وترتيب بعض الأعمال السياسية مع بعض الأخوة المؤمنين العراقيين ممن كان في سوريا حينذاك أو جاء إليها من إيران . كما قمت بكتابة بعض الأفكار ومناهج العمل في القضية الإسلامية العراقية . وكانت حصيلة البحث هو السفر إلى إيران للإنطلاق بالعمل الإسلامي منها لأنها القاعدة الأساسية لمثل هذا العمل بالإضافة إلى انها تمثل الشرعية لوجود إمام الامة فيها . وقد تمَّ ذلك بالإتفاق مع بعض الأخوة العلماء وبعض العاملين في الحقل الإسلامي من مختلف الأطراف .

وفي هــذه الأثنـاء (٢٢ أيلول) شن النــظام المجـرم الحاكم في بغداد حربه العدوانية على الجمهـورية الإسـلامية وقد كنا نتوقع ذلك منذ بداية الشهر السابع وتم اغلاق الحدود الجوية والبرية مع الجمهورية الإسلامية وقطعت وسائل النقل الجوية والبرية المعروفة .

ولكنني عزمت مع ذلك على السفر بعد ان استخرت الله بالقرآن الكريم على المبادرة إليه فجاءت الآية : ﴿**ولقد كتبنـا في الـــزبـور من بعـــد الـذكــر ان الأرض يــرثهــا عبــادي الصالحون**﴾ .

وطـرحت هـذه الفكـرة على بعض الأخـوة العــراقيين العاملين الذي كـان يملك سيارة خـاصة فـاستجاب مشكـوراً لـذلك ، وخـرجنا من دمشق يـوم الاثنين أي بعـد أسبـوع من بداية الحرب . وكان هذا الأخ رفيق سفر من خير رفقاء السفر الذين عرفتهم في حياتي .

ووصلنا إلى مدينة تبريز يوم الجمعة صباحـاً حيث خطر بذهني ان أزور آية الله الشهيـد السيد أسـد الله المدني ممثـل الإمـام وإمام جمعـة تبريـز حينذاك وأخبـره بمجيئي إلى إيران حيث دخلتها دون علم مسبق من أحد . فقد كانت تربطني به صـداقة ومـودة منـذ كـان في النجف الأشـرف ، أبـان المـد الشيوعي في العراق ، وكـذلك أحـداث ١٥ خرداد في بـداية تحـرك الثورة الإسـلامية في إيـران وانعكاسـاتهـا على حـوزة النجف الأشرف .

وعند زيارتي له وطرح الموضوع عليه طلب مني الإنتظار إلى حين الإتصال ببيت الإمام وأخذ رأيه في الموضوع . وهكذا كان الأمر وكان جواب بيت الإمام هو طلب الإنتظار يوماً أو يومين إلى حين تهيئة المكان للنزول والضيافة قرب بيت الإمام .

وبعد يومين ـ حيث جاء الإذن من بيت الإمام ـ توجهت إلى طهران صباحاً وقد اخبرت انه سوف يتم اللقاء بالإمام حين وصولي إلى هناك .

وعندما وصلت إلى مشارف طهران كانت الطائرات العراقية تشن هجوماً على مطار طهران حيث شاهدناها تقصف بعض الأجزاء الملحقة بالمطار وتتصاعد ألسنة النيران منه .

وملكتني الدهشة عندما وجدت الناس في الشوارع ينظرون إلى هذا الهجوم وكأنه مجرد مناورة عسكرية ويتدافعون إلى محل الحادث وكأنّ المسألة عادية .

ووصلت إلى بيت الإمام عند الغروب حيث كان الإمام يصلي في داخل المنزل وكان في استقبالي هناك مجموعة من الأخوة العلماء أعضاء مكتب الإمام وبعض الواردين إليه وطلب مني الإنتظار إلى ما بعد انتهاء الإمام من صلاته .

وفي الأثناء انقطع التيار الكهربائي في جميع أنحاء مدينة طهران بسبب الإنذار عن وجود غارة جوية حيث انتقلنا

إلى طابق تحت الأرض للحسينية وكانت بعد في دور البناء ، وبقيت أنتظر مدة من الزمن لاحتمال عودة التيار الكهربائي ولكنه لم يعد وتم تأجيل اللقاء إلى اليوم التالي وانتقلنا إلى الدار التي أعدت بقرب دار الإمام لنزولي فيها .

وفي اليوم التالي عندما تم اللقاء شرحت للإمام (قدس سره) طبيعة الأوضاع التي يعيشها العراق وذكرت له بعض النقاط الدقيقة حول هذه الأوضاع فسأل عن بعض النقاط الأخرى وموقف العلماء والشعب هناك وكان اللقاء خاصاً لم يشترك فيه أحد وأبدى فيه الإمام مزيد اللطف والإحترام .

وفي الفناء الذي يقع أمام الدار كان هناك مندوب للإذاعة والتلفزيون على استعداد لاجراء مقابلة واستأذنت الإمام في اجراء هذا اللقاء ورأيه بهذا الشأن فأوكل كل ذلك لقراري الخاص وشعرت عندئذ بعظم المسؤولية التي أتحملها في مجال هذا التحرك من ناحية وسياسة الإمام في الإعتماد على الأشخاص الذين يعملون في ساحة العمل الجهادي حيث يضعهم أمام الإختبار والتجربة ويترك لهم حرية الإختيار والتحرك .

وقد لاحظت هذا الموقف منه في أحداث أخرى أيضاً منها قضية استشهاد الستة من آل المغفور له السيد الحكيم ، فانه عندما طلبت منه تحديد الموقف الشرعي الذي كان دقيقاً وحرجاً أوكل اتخاذ هذا الموقف لي واعتبره هو الموقف الصحيح . في نفس الوقت الذي أبدى تعاطفاً مع المأساة

عبّر عنها في بيانه الرائع بهذه المناسبة ، الذي يجسد فيه الكثير من معاني الرحمة والحب والإحترام إلى جانب الأبعاد السياسية التي تضمنها هذا البيان .

لقد كنت أشعر في أكثر الزيارات التي أقوم بها إلى الإمام لفتات العطف والرحمة والمحبة والإستجابة مما يخفف عليّ آلام ومعاناة المسيرة .

ففي قضية استشهاد الستة مثلاً أبدى رأيه بوضوح بضرورة تبني الجمهورية الإسلامية للجانب الإعلامي فيها من أجل ان يجنبني الحرج في هذا الموضوع وأبدى توجيهاته بهذا الصدد لنجله الكريم حجة الإسلام السيد أحمد .

كما اني لاحظت أكثر من مرة انه في أثناء خطابه في بعض اللقاءات العامة ينتقل إلى الحديث عن هذه المأساة رأساً بعد ان تقع عيناه عليّ .

وفي بعض الأحيان عندما كنت أشكو له بعض الأوضاع السياسية التي تسبب ضيقاً روحياً ونفسياً كان يبادر حفظه الله وبلطف للمقارنة بحاله حيث وصف نفسه بالسجين الذي يقابل من يحب ومن لا يحب بحكم المسؤوليات التي يتحملها .

كما انه كان يسأل في كل مرة ألتقي به تقريباً لقاء خاصاً عن حال الأخوة والأسرة قبل ان ينزل بهم البلاء وكأنه كان يتوقع ذلك من خلال معرفته بالطبيعة الوحشية للعفالقة

المجرمين ، كما كان يسأل عنهم بعد نزول البلاء بهم بطبيعة الحال .

وقد لاحظت فيه انه يستمع بدقة لما يعرض عليه ويسأل أحياناً عن بعض النقاط بدقة فقد سألني مرة عندما أخبرته عن استشهاد بعض علماء السنّة في المنطقة الشمالية من العراق . عن طريقة الإستشهاد وانها كانت من خلال التظاهرات أو عن طريق القاء القبض والإعدام .

كما سألني مرة عن طبيعة الخلافات الموجودة في الساحة الإسلامية العراقية وأبعادها الفكرية والسياسية ، حيث كان قد طرق سمعه شيء من الخلاف .

وفي بعض الأحيان يبدو وكأنه يستمع فقط دون ان يتفاعل في أثناء اللقاء إلاّ انه يتبين بعد ذلك انه أعطى توجيهات معينة تدلل على تفاعل كبير في الموضوع .

* * *

* التجربة مع الإمام فيما يرتبط بالقضية الإسلامية في العراق :

وقد أولى الإمام القضية الإسلامية في العراق رعاية وأهمية خاصة لأنه كان يعرف الكثير من ظروفها عن قرب بسبب وجوده في العراق ورؤيته لمجمل الأحداث السياسية عن كثب . وقد سمعته في إحدى المرات كان يقول اني كنت أتوقع قيام الحكم الإسلامي في العراق قبل قيامه في إيران بسبب وجود قوى العشائر العراقية التي ترتبط بالعلماء ، كما

ان تكوينية الشعب العراقي العامة عشائرية توالي الإسلام . كما انه ذكر لآية الله الشهيد الصدر انه كنت أنتظر من المغفور له آية الله العظمى السيد الحكيم ان ينهض بالشعب العراقي في وجه الحكم الطاغي ولكن عندما رأيت موقف الناس من تحركه في الأيام الأخيرة من حياته أدركت حقيقة الأوضاع المتردية التي يعيشها العراق .

ومن أجل ذلك كان الإمام يهتم بالتحدث إلى الشعب العراقي واستنهاضه وشرح الظروف التي يعيشها والمأساة التي يعانيها . كما تحدث في مناسبات كثيرة من خلال البيانات واللقاءات العامة عن مظلومية هذا الشعب والأمة وتكالب قوى العدوان والطغيان عليه . . وما يعانيه الصالحون من أبنائه وعلمائه على أيدي العفالقة المجرمين .

وأود بهذه المناسبة ان أشير إلى مجموعة من النقاط التي تشكل بحسب فهمي جانباً من المنظور العام لتوجهات الإمام في القضية الإسلامية العراقية لمستها عن قرب ومن خلال اللقاءات الكثيرة معه والأحداث المتعددة .

* * *

* الإهتمام بأن يكون التحرك الإسلامي والمقاومة الإسلامية نابعة من الأوساط الشعبية بحيث تصبح هذه الأوساط بنفسها مدركة لطبيعة مسؤولياتها . . وإلى جانب ذلك اعطاء الأهمية الخاصة بان تكون قيادة المسيرة بيد

العلماء وخط المرجعية والحوزة العلمية .

ويبدو ذلك واضحاً من خلال حديثه في اللقاء الأول مع جماعة العلماء التي تم تأسيسها بعد اخباره بتفاصيل ظروفها من قبلي ووافق لأول مرة ان يكون له ممثل فيها وذلك قبل ما يزيد على أربع سنوات ، ولكن الظروف لم تسمح مع الأسف باستمرارها بذلك المستوى المطلوب والواقع السياسي المناسب حيث واجهت بعض المشاكل والصعوبات الداخلية بالرغم من المحاولات الكثيرة التي استمرت نحو سنتين . وفي حديثه أكد على دور العلماء الروحانيين ومحاولات الإستعمار لعزلهم عن الامة وتشويه صورتهم واضعاف دورهم فيها وذكر بعض المعاناة في إيران تجاه هذا الموضوع أيام (رضا شاه) الأب . . كما ان حديثه مع المجلس الأعلى ركز فيه على ضرورة الإهتمام بالامة وتوجيهها .

وقد لاحظت ذلك أيضاً من خلال قبوله لاستقبال جماهير أبناء الشعب العراقي المتواجدين في إيران فعندما طلبت منه ذلك في الذكرى الأولى لاستشهاد آية الله الصدر تحدث إليهم بشكل خاص وكذلك من خلال قبوله لاستقبال المجاهدين العراقيين في مناسبات متعددة .

* * *

* التزام الإمام بسياسة عدم التدخل المباشر في هذه

المرحلة بالقضية الإسلامية العراقية والإكتفاء باعطاء التوجيه العام فيها فحسب . وقد لاحظت ذلك من خلال الموقف العام تجاه مشروع المجلس الأعلى للثورة الإسلامية حيث وافق بعد فترة من تأسيس المجلس على استقبال أعضاء المجلس ولكن لم يوافق على تعيين ممثل خاص له في المجلس بعد الطلب المستمر منه بهذا الشأن .

وبديهي وجود الفرق بين مشروع جماعة العلماء والمجلس حيث ان المشروع الأول وأن كان سياسياً إلّا انه ذو طابع ديني، حوزوي وفي اطار العلماء ، وهذا لا يعني طبعاً عدم الإهتمام بالقضية نفسها ومشاكلها بل كان يعطي التوجيه بشكل مستمر في مختلف القضايا العامة للقضية .

* * *

* السعي لأن يتحمل العراقيون أنفسهم مسؤولية القضية السياسية الإسلامية وإيصالهم إلى درجة الرشد السياسي والإكتفاء الذاتي . وذلك باشعارهم بالإعتماد والثقة وتوجيههم لحل مشاكلهم بأنفسهم كما أشرت إلى ذلك في موقفه من قضية التصدي وكذلك الموقف من استشهاد الستة من آل آية الله العظمى السيد الحكيم .

وأتذكر بهذه المناسبة انه حدثت خلافات بين بعض الأطراف الإسلامية رفعت إلى بيت الإمام وعندما تدخل حجة الإسلام السيد أحمد الخميني بالأمر اكتفى بالسعي لاصلاح

الموقف باهتمام واعطاء التوجيهات العامة للإمام دون ان يمارس أي لون من الضغط أو الحسم في المسائل المطروحة وكان من الواضح انه يسعى لحل الخلافات بدفع الأطراف إلى الحل بأنفسهم .

كما انه من شدة اهتمامه بالقضية الإسلامية والسعي لدعمها مادياً وبشكل ذاتي أجازني بصرف الحقوق الشرعية في القضايا المرتبطة بها مع انه يتحرج كثيراً في صرف الحقوق في غير المجالات المعروفة لصرفها لأن تلك المجالات تعتمد على هذا النوع من الأموال ، حيث أفسر هذا بسبب الإهتمام بالقضية ومحاولة ربط العراقيين بها دينياً .

وكان اهتمامه بجماعة العلماء والمجلس الأعلى وغير ذلك من الإهتمامات يعبر عن ذلك أيضاً لانه يرى ضرورة تكامل هذه القضية ووصولها إلى الرشد المعنوي والمادي والسياسي .

* * *

* السعي لحل المشاكل الرئيسية التي تواجه القضية الإسلامية في العراق من خلال تعقيدات بعض الأجهزة في الجمهورية الإسلامية بسبب ظروف الثورة ومواقف بعض العناصر فقد تدخل الإمام حفظه الله وأعطى توجيهاته بضرورة حل هذه المشاكل على مستوى حرس الثورة الإسلامية وأتذكر

بهذه المناسبة ان نجله حجة الإسلام السيد أحمد أبلغ ممثل الإمام في حرس الثورة ان الإمام أمر بحل جميع المشاكل التي يواجهها السيد الحكيم فيما يتعلق بالقضية الإسلامية وكان ذلك بعد ان كنت عرضبت على سماحة الإمام وجود هذه المشاكل بشكل اجمالي . كما انه (قدس سره) تدخل في مسألة معقدة واجهتها القضية الإسلامية يمكن ان أسميها قضية (أياد سعيد ثابت) . . فان هذا الشخص جاء إلى إيران بتأييد من إحدى الدول العربية المؤيدة للجمهورية الإسلامية في موقفها من الحرب العدوانية واستقبل في إيران انطلاقاً من فتح الساحة الإيرانية أمام كل قوى المعارضة العراقية على اختلاف توجهاتها السياسية .

واستقبله الإمام مع الشهيد حجة الإسلام الشيخ محمد منتظري واتصل بعد ذلك الشهيد منتظري تلفونياً وأخبرني ان الإمام طلب من أياد سعيد ثابت الإتصال بي والتنسيق معي في شؤون التحرك وطلب موعداً للقاء .

وتم اللقاء مع أياد سعيد ثابت أكثر من مرة وجرت أحاديث ذكرت فيها وجهة النظر التي نتبّناها في قضية المعارضة ووحدتها وهي التعاون ميدانياً ، وموقفنا العام من المعارضة العلمانية . . ولكن بعد ذلك حدثت عدة أمور أشير إلى أمرين منها :

١ ـ ان أياد سعيد ثابت قام بالإعلان عن تنظيم سياسي

ثوري مغلف بالاطار الإسلامي وتهجم في المؤتمر الصحفي الذي عقده بهذه المناسبة على مجمل التحرك الإسلامي في العراق واتهمه بالعمالة للأجنبي وردد نفس التهم التي كان يطلقها العفالقة المجرمون تجاه التحرك الإسلامي وبالخصوص تجاه العلماء .

٢ ـ ان الأنصار الذين أخذ يجمعهم أياد سعيد ثابت كانوا على الغالب مجموعة من المرتزقة الذين يشترون بالأموال ويمارسون ألواناً من الإنحرافات الأخلاقية . . ولذلك انسحب من جماعته بعض العناصر الخيرة المغرر بها .

وكان يبدو عليه الإرتياح عندما كنت أعرض عليه موقفاً موحداً وكان يستجيب لمتطلبات هذا الموقف الموحد فوراً .

وبالرغم من انه يدرك ان بعض القضايا لا يمكن تجاوزها خصوصاً تلك القضايا التي ترتبط بالحالة الثورية أو التخلف السياسي أو الشجاعة الكافية في تبني المواقف الساخنة ، إلّا انه (قدس سره) كان يتخوف على القضية من تلك الخلافات خصوصاً الخلافات التي تنبع من هوى النفس وحب الجاه ولهذا كان يؤكد على هذا الجانب من أحاديثه العامة والخاصة لأن هذا السبب هو الذي ينتهي بالقضية إلى الهاوية .

وبسبب توجيهات الإمام ـ على ما أعتقد ـ وحرصه

وحرص ممثليه تمكنت الأطراف الإسلاميـة ان تتجاوز الكثيـر من قضـايا الخـلاف وتحقق هـذا المستـوى من الـوحـدة في وجهات النظر والمواقف السياسية والعمل المشترك .

* * *

وفي الختام لا يفوتني ان أقدم تقديري للأخوة العاملين في جـريدة لـواء الصدر على هـذه المبادرة في تسجيـل سيرة الإمام وترجمتها واخراجها على شكل كراسات كمسـاهمة في التربية الجهادية والأخلاقية وأسأله تعـالى لهم ولكل القـارئين التـوفيق وأدعوهم للتـأمل في سيـرة إمام الامـة وسيـرة الأئمـة الهداة من أهل البيت والصـالحين من المسلمين والتأسي بهـا والله سبحانه الموفق للصواب .

* * *



الامـــام قـــدوة

بقلم

حجّة الإسلام

السيد علي أكبر محتشمي

مفهوم السياسة عند الإمام

أثناء إقامتنا في النجف الأشرف ، بين مجموعة من الأخوة الذين تركوا وطنهم إيران ليكونوا على مقربة من الإمام بدافع من المحبة والعشق الإلٰهي ، وكذلك من الأخوة الذين هربوا من إيران لعدم استطاعتهم العيش تحت ظل القيود والتعقيبات فالتحقوا بالإمام للانتهال من معين علمه ، والعمل بما وسعهم ضد حكومة الشاه المتسلطة على إيران . . وفي فترة من الفترات هناك حدثت مشادة كلامية بين البعض من أولئك الأخوة ، جراء خلاف متأت عن التباين في الطبائع والأمزجة ، وانتقل صدى ذلك إلى مسامع الإمام . . وبعد ذلك بأيام استدعانا الإمام للحضور عنده ، بلغنا بذلك الشيخ عبد العلي وحضرنا بخدمته بمجموعنا البالغ عشرين شخصاً ، وبعد ان تكامل عقد الحاضرين ، وبـ الإمام فينا يلقي علينا فيضامن التوجيهات والنصائح استغرقت مدة خمس عشرة دقيقة تقريباً ، طلب منا السير وفق برنامج عملي منظم وأكد على وجوب انجاز هذا البرنامج . كما تفضل سماحته وقال : « أي المجاميع المناضلة تنتصر ، وأيها لا تنتصر ؟ ، فالأفراد الذين يعملون ويناضلون وجل أعمالهم

سياسية صـرفة ، ولا شيء لـديهم غير السيـاسة ، فـان هؤلاء الأفـراد سوف لا ينـالون الإنتصـار ، ولقد لاحـظنـا ذلـك في تاريخ إيـران عند استعـراضنا لكـل الإنتفاضـات والنشاطـات السيـاسيـة التي حـدثت ، كيف ان السيـاسيين الكبـار وبعـد الإنتصار كانوا يلفظون إلى خـارج الساحـة السياسيـة ونسيهم الشعب ومؤيـدوهم . فـإذا كـانت أعمـالكم سيـاسيـة بحتـة فمصيـركم مصير هؤلاء الـذين ذكـرتهم ، وأحيـانـاً يجـوز ان تتقدموا جزئياً ولكن هذا التقدم غيـر دائمي وغير مستمـر ، اما إذا كانت سياستكم مطعمة بصبغة دينية ومنظمة ، هذه الصبغة التي هي (صبغة الله) ، سياسـة دينية ، سيـاسة يـريدهـا الله سبحانه وتعالى ، لأن هذه السياسة الدينية سيكتب لهـا الدوام والإستمرار ، لماذا ؟ . . لأن أحد أطرافها مرتبط بالله سبحانه وتعالى ، فهي إذا في نفع المسلمين وكذلك في منفعة الأفراد الـذين يعملون ضمن هذا الاطـار وإذا كـان الأمـر كـذلـك ، فليس للإختلاف والمشاجرة مجـال فيما بينكم أيهـا الأخوة ، ان عملكم هو عمل رباني ، اما إذا ظهر الإختلاف بينكم فان معنى ذلك انكم قد تجـردتم عن العمل الإلٰهي . . أنتم أيهـا الأخـوة يا من تشـردتم وأخرجتم من ديـاركم وفـارقتم آبـاءكم وأمهاتكم واخوانكم وأصـدقاءكم ، يجب ان تكـون برامجكم بـرامج إلٰهيـة محضة . . » . . . ولقـد كان لهـذه التوجيهـات أبعد الأثر في جميع الأخوة الحاضرين .

وحادثة أخرى ، كانت بالنسبة لي عظة تربـوية وكـذلك

لباقي الأخوة والأصدقاء ، فقد أظهرت لنا هذه الحادثة جانباً مما يمتاز به الإمام من وفاء ومحبة للأخوة المؤمنين الذين كانوا يعملون بكل جد واخلاص من أجل الله سبحانه وتعالى .

عندما استشهد المرحوم آية الله سعيدي على أيدي جلاوزة الشاه وفي سجنه الرهيب ، وورد نعيه إلى النجف الأشرف ، ولد نوعاً من الثورة والغليان لدى علماء الدين ، وقد ارتسمت على وجه الإمام ملامح الغضب والتأثر ، وصمم الأخوة وطلبة العلم اقامة مجلس الفاتحة بالرغم من ضيق حالتهم الإقتصادية ، وان مجالس الفاتحة بالرغم من ضيق حالتهم الإقتصادية ، وان مجالس الفاتحة كانت تكلف الكثير بالنسبة إلى مواردهم المالية الضئيلة ، وبالفعل فقد أقاموا مجلس الفاتحة الذي يليق بمقام الشهيد غير مبالين بالمصاريف ، ناهيك عن المضايقات التي تلقوها من زعانف الحكم البعثي في النجف الأشرف ، فالمساجد جميعها امتنعت عن اقامة الفاتحة فيها حيث لم يسمح لهم بذلك إلى ان تيسر لهم اقامتها في مسجد عمران الواقع في شارع الطوسي القريب من الحرم المقدس ، ولمدة ثلاث ليال ، تبع ذلك برنامج في سبيل ادامة مجالس الفاتحة لفترة أطول ، فالأخوة الخراسانيون من مدينة مشهد أقاموا مجلس الفاتحة لمدة ثلاث ليال وبعد انتهائها مباشرة بدأ مجلس آخر أقامه الأخوة الطهرانيون وبعده مجلس للأخوة من مدينة أصفهان

وهكذا امتدت إلى مـدة أربعين يومـاً بدون انقـطاع ، والشيء الذي جلب الإنتباه هو اننا عنـدما انتهينـا من مجلس الفاتحـة وكانت نفقات المجلس تشكل عبئاً مالياً على الطلاب ، تولى الإمام دفع المصاريف وبإصرار هذا من ناحية ، ومن النـاحية الأخرى ، فأن الإمام كان لا يشارك في أي مجلس فاتحة أكثر من ليلة واحدة ولكنه في الفـاتحة المقـامة على روح الشهيـد آيـة الله سعيدي كـان يحضرهـا يوميـاً وكـان الإمـام الشخص الوحيد الـذي شارك في مجـالس الفاتحـة المقامـة على روح الشهيد السعيد . . .

* * * * *

احترموا الناس

من الملاحظ ، ان العلماء والشخصيـات الروحـانية ، أخص بالذكر منهم المراجع الدينية ، عندما كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر ، يتعرضون إلى مواجهة الحشـود من الناس ، يتتبعـون خـطاهم لالتمـاس دعـواتهم وتقـديم الإحتـرام لهـم بتقبيل أيديهم تقـديراً لمنـزلتهم واعترافـاً بجهودهـم المبـذولة لهذه الامة ، هكذا كان في الأعم الأغلب من النـاس ، ولكن الإمام (قدس سره) لم يسمح لأحـد منا ان يتبعـه خلال تنقله أو تجـوالـه عنـد زيـارتـه الحـرم الشـريف ، (حضـرة أميـر المؤمنين «ع» في النجف الأشرف) أو أثنـاء التدريس ، لكي لا يجذب الإنتباه إليـه ، أو يعرف النـاس به ، لانـه كان يحب البساطة في كل تصرفاته وأعمـاله . . وعنـدما نمى إلى

علمنــا ، مؤخـراً بــأن هنـاك مجمــوعـة من المتسللين ممن استخدمهـم الشاه المقبور لاغتيال الإمام ، سمح لنـا بمرافقتـه أحياناً ، وفي أوائل عام ١٩٦٨م أحسسنا بأن المحـافظة على الإمام أصبحت وظيفة شـرعية لا يمكن التخلي عنهـا ، وعلى هـذا الأسـاس قـرر الأخـوة الـذين لم يكن عـددهم يتجـاوز الـ ٧ أو ٨ أفراد القيام بواجب الحماية في كل ليلة يتوجه بهـا الإمام لزيارة الحرم الشريف ، وفي الليلة الأولى وعندمـا عزم الإمام التوجه نحو الحـرم ، تعقبنا سيـره عدة خـطوات وما ان وصلنـا رأس الـزقـاق حتى التفت إلينـا الإمــام وأوعـز إلينــا بالعودة ، فرجعنا وذهب صوب الحرم بمفـرده . . فاضـطررنا بعد ذلك ان نخبره برسـالة ذكـرنا لـه فيها بـأن عملنا هـذا من منطلق احساسنا بانه وظيفة شرعية نحن مكلفون بأدائهـا سواء قبلت بذلك أم لم تقبل . . فنحن نتبعك أينما توجهت . ولقد قمنـا بذلـك فعـلاً . . ففي الليـالي التي يكـون فيهـا الحـرم المقـدس محتشداً بـالزوار ، كـان الإيرانيـون يتقدمـون نحـو الإمـام لتقبيل يـديه ، وينشـأ الإزدحام ويـزداد الضغط شـوقـاً ورغبةً في الوصول إليه ، فكنـا نحاول ان نشق لـه الطريق في غمرة هذا الإزدحام ولكنه كان يتوجـه إلينا قـائلاً : ـ وهـو في وسط غمــرة الإزدحـام ـ لا تضغــطوا على النــاس دعــوهم وشأنهم ، احترموا هؤلاء الناس .

* * * * *

توقعات الامام

هذه حادثة . . وحادثة أخرى لهـا أثرهـا الذي لا ينسى مهما تقادم بها الزمان . . .

كان البعثيون قد حاصـروا منزل الإمـام ووضعوا لـذلك العيـون والإرصاد ، فـانقطع النـاس عن زيـارة الإمـام ، وفي خـلال عام ١٩٧٨م ، كـان هذا الحصـار على أشـده ، وقـد أزمعـوا من وراء ذلـك العمـل على إبعـاد الإمـام عن النجف الأشـرف وفي هذه الأثنـاء كانت قـد وردت رسالـة إلى الإمام مـرسلة إليه من شخصيـة سياسيـة معروفـة وقد أعـد الجـواب عليها ، وطلب إليّ ان أوصله إليه شخصياً ، وتهيأت للسفر ، ودخلت على الإمام لكي أودعه ، فرأيته وحـده ولم يكن أحد حاضراً لديه ، فسلمت عليه وأخبرتـه باني مسـافرٌ إلى سـوريا ولبنان ورجوته ان يباركني ويشملني بدعواته ، فنظر إليَّ نـظرة أعقبهـا بـابتسـامـة ثم قـال لي : « ان سفـرك هـذا سيكـون طـويلاً » ، وقـد استغربت من ذلـك ، وأردفت مستفهماً : لا يخفى على سماحتكم ان مهمتي لا تعدو ايصال رسالتكم ولا أظن ان ذلك يستغرق مدة يومين أو ثلاثة أيـام ، فهل استجـد شيء آخـر بـالنسبـة لي يـطيـل أمـد سفـري كمـا تفضـل سماحتكم ؟

وخلاصة القـول فقد تحـركت نحو بغـداد مع الأخـوين الشيخ فردوسي والسيد دعائي ، حيث سلماني بعض الوثـائق لايصـالها إلى سـوريا ، ولمـا وصلت مـطار بغـداد ، سلمت

حقيبتي لمسؤولي المطار حيث وضعت في الطائرة ، وجلست في قاعة الإنتظار لحين السماح بركوب الطائرة قبيل اقلاعها .
لاحظت حركة غير طبيعية بين أشخاص يرتدون الملابس المدنية ، وقد أدركت بانهم من رجال الأمن والإستخبارات .
تقدم أحدهم نحونا وسأل : أيكم سيسافر ؟ فأجبته : أنا الذي سأسافر . فاستدعاني للذهاب معه ، وطلب إليَّ احضار الحقيبة من الطائرة ، وقارن الرقم الملصق عليها مع الرقم المثبت على بطاقة الطائرة ، ثم قام بتفريغ محتوياتها والأوراق والوثائق التي كانت بداخلها ثم أخذوني إلى الطابق الثاني من البناية إلى مكتب أمن المطار حيث تعرضت للاستجواب والتحقيق لمدة ساعة أو ساعتين بعدها أحضروا لي جواز سفري واستمارة طلبوا مني التوقيع عليها ، فاستفسرت عن هذه الورقة ، فقيل لي : اقرأها ، ولما قرأتها وجدت انها تحتوي على اقراري بالسفر خارج العراق دون العودة إليه ثانية ، وان ألتزم بذلك وسوف لن تطأ قدماي أرض العراق ، وإذا خالفت ذلك ودخلت إليه فسوف أقع تحت طائلة الإجراءات القانونية وأحاسب على ذلك .
فامتنعت عن توقيع الاستمارة أول الأمر ، ولكنهم أصروا على ذلك فوقعتها بعد ذلك ، وهناك تذكرت ما تفضل به بالإمام وظلت عباراته ترن في أذني ، ويأخذني العجب وكان ذلك شيئاً جديداً يصادفني في حياتي ، ولكنني عندما أرجع بذاكرتي إلى الوراء وأتذكر توقعات الإمام في الكثير من القضايا قبل حدوثها وحدثت بعد ذلك كما توقعها الإمام عند

ذلك تتوضح المسألة عندي حيث كان (قدس سره) يفسر الكثير من القضايا والمسائل السياسية وغير السياسية ويتوقع نتائجها مبدئياً ، وكانت توقعاته صائبة في كل هذه القضايا التي استعرضها الإمام قبل حدوثها بما امتاز به سماحته من بعد نظر صائب وأكيد . . .

* * * * *

بعيداً عن باريس

من الحوادث التي واجهتنا في باريس ، و « نوفل لوشاتو » ، بعد ان أقام الإمام « قدس سره » يوماً واحداً في باريس فقط ، فلقد حل سماحته في منزل يقع في الطابق الرابع من البناية الكائنة في منطقة (كشان) إحدى مناطق باريس ، وكان هذا المسكن تحت تصرف أحد الطلبة الذين يدرسون في جامعة باريس ، ولقد حل سماحته في ذلك المنزل بعد ان اشترط على الطالب الذي استأجره ان يعطيه مقابل ذلك بدل الايجار . وبسبب زيادة عدد الوافدين لزيارة الإمام ، فقد ولد ذلك ازعاجاً للآخرين من الجيران ، ولما شعر الإمام بذلك صمم على ترك المكان بأسرع وقت ممكن وأوصى باختيار المكان الملائم البعيد عن ازعاج الآخرين . فلذلك توجهت الأنظار إلى (نوفل لوشاتو) إحدى ضواحي باريس التي تقع على بعد ٥٠ كيلومتراً عن باريس وتم استئجار منزل ملائم هناك .

من كان وراء هذا التصميم والإبتعاد بالإمام ٥٠ كم عن باريس ؟

في الحقيقة ، ان هذا المنزل الذي وقع عليه الإختيار في ضاحية نوفل لوشاتو ، يعود لأحد الأخوة الإيرانيين وكان البيت متروكاً ولا يستفيد منه صاحبه ، بالإضافة إلى ابتعاده عن الدور المجاورة فكان والحالة هذه بعيداً عن ازعاج الجيران عند ازدياد عدد الوافدين من زوار الإمام ولعدم الحصول على منزل تتوفر فيه المواصفات بحيث لا يولد استعماله ازعاجاً لمجاوريه في مدينة باريس ، لذا فقد وافق الإمام على الإقامة في نوفل لوشاتو . . يقع المنزل في نوفل لوشاتو ، كما أسلفنا ، البعيدة عن (ڤرساي) ، تحيطه حديقة مساحتها تقدر بـ (١٠٠٠) متر مربع فيها الكثير من الأشجار المثمرة ، كأشجار التفاح وغيره . اما المنزل فكان يحتوي على غرفتين بقياس ٣×٢م و٥,٢×٣م تؤدي احداهما إلى الأخرى ولهما باب واحد ، وبجانب الغرفة الأولى غرفة أخرى صغيرة بقياس ٥,١×٢م يفتح بابها إلى داخل الغرفة الثانية . ومن جانب الغرفة الأولى أيضاً مغسلة ومطبخ بقياس ٢×٣م . كما كان في المنزل حمام وسرداب . استخدمناه مخزناً ومحلاً لتكثير الأشرطة التي كان يسجلها الإمام في حينه . وقد اختار الإمام الغرفة الخلفية ، اما الغرفة الأولى فكانت للأخوة وللاستقبال ، وإذا كان الجو جميلاً صحواً ، كنا نذهب إلى الحديقة نفترش أرضها العشبية ،

يشاركنا الإمام في تلك الجلسات البسيطة الهادئة .

كان الإمام ينام في الغرفة الخلفية ، بينما كنا ننام في الغرفة الأولى ، وكان المناخ في أيامنا الأولى جيداً معتدلاً ، وكنا نكتفي بفتح الشبابيك والباب ليلاً ولم نكن نحتاج إلى أغطية ودثار لاعتدال المناخ ، وفي إحدى الليالي حينما دلفنا إلى مضاجعنا وعلى العادة تركنا الشبابيك والباب مفتوحة وقد اكتفى بعضنا بأغطيتهم وبقي بعض بدونها ، وفي الصباح لاحظنا اننا جميعاً متدثرون بأغطيتنا جيداً ، وان الشبابيك والباب قد أحكم اغلاقها ، وأخذنا نتساءل عمن غطانا أثناء منامنا ، ومن أغلق الشبابيك والباب ، ولما لم يكن أحد منا قام بذلك ، فقد سألنا الحاج أحمد الخميني عن ذلك ، فأجاب بدوره انه كذلك لا يعلم شيئاً عمن تطوع وقام أثناء الليل بتغطيتهم وأحضر الأغطية لمن لم يكن عليه منها شيء ، فاستنتجنا بأن الإمام (قدس سره) لما نهض أثناء الليل لأداء الصلاة وعندما باشر الوضوء أحس ببرودة الجو ، أغلق الشبابيك ودثر الأخوة بالأغطية الكافية خشية ان يصابوا بالبرد . .

هذا غيض من فيض مما كنا نلقاه من رعاية وحرص أثناء مواظبته وحرصه على أداء صلاة الليل في كل ليلة . . .

* * * * *

ليس للامام ناطق رسمي

ومن ذكريات ، نوفل لوشاتو ان بعضهم استغل الفرصة وأعطى لنفسه صفة الناطق باسم الإمام ، أو اتخذ من تفسه وكيلاً عنه ، وقد تفضل الإمام بعد ذلك وقال : « ليس لدي ناطق رسمي أو وكيل » ، أعلن ذلك على الناس وبمختلف اللغات (الفارسية العربية الفرنسية والإنگليزية) وقد كتب ذلك وبخطوط عريضة وبكل هذه اللغات على واجهة الدار وفي المدخل وكل جوانبه ، بان الإمام ليس لديه وكيل أو ناطق باسمه ، وان أي شيء يريد التصريح به أو الافصاح عنه ، يتولاه بنفسه شخصياً ولا حاجة به إلى أية واسطة .

* * * * *

مأتم حسيني في باريس

من الذكريات التي حدثت لنا في « نوفل لوشاتو » في فرنسا ، بعد ان أمضينا مدة أسبوعين أو ثلاثة في الدار التي وصفناها سابقاً ، أصبح مقر الإمام لا يتناسب والأعداد الغفيرة من الزوار المتوافدين لزيارة الإمام ، فاستأجرنا منزلاً آخر يقع مقابل المنزل الأول ، أقام الإمام فيه وترك البيت الأول لنا وللأخوة ، وكنا نحضر عند الإمام عند مقدم الزائرين ، وعندما يحين وقت الصلاة لأدائها اقتداء بالإمام ومن ثم الإستماع إلى ما كان يتحفنا به من خطب وأحاديث شائقة وغالباً ما كانت الدار تضيق بالوافدين ، فنضطر إلى تهيئة

الساحة الكائنة أمام الدار لهذا الغرض عندما يكون الجو صحواً .

وقد صادف في أحد الأيام ، وصول أعداد كبيرة من المانيا وانگلترا وغيرها ولما لم يتسع المكان لأستيعايهم جميعاً اضطروا للوقوف في فسحة الدار بالرغم من رداءة الأحوال الجوية ، والمطر الغزير ، وخرج الإمام للترحيب بالقادمين والقاء كلمة مناسبة فيهم ، وكان بامكانه ان يطل عليهم من الشباك المواجه للساحة ويتحدث إليهم أو يجيبهم على أسئلتهم واستفساراتهم ، ولكنه أصّر على الخروج إليهم والوقوف بينهم تحت المطر ولفحات الهواء القارس ، لا تعيقه ثقل السنين التي قاربت الثمانين ، عن الاسترسال فترة ليست بالقصيرة يتحدث بكلمة قيمة ألقاها على هؤلاء الذين جاءوا إليه من أقطار مختلفة ، ولم يجد من المناسب إلاّ الخروج إليهم تحت وابل المطر والهواء البارد .

لقد كنا نجمع تقارير الليلة السابقة ، صباح كل يوم ، تلك التقارير التي كانت تصلنا بالتلفون من إيران ، وقد كنت أكتب خلاصة بهذه التقارير . وإذا ما كانت التقارير مهمة أحياناً . فقد كان الإمام يستمع إليها من التلفون مباشرة . كنا نجمع هذه التقارير ونقدمها للإمام مع بعض الإيضاحات إذا احتاج الأمر إلى ذلك . وقد حل اليوم الأول من شهر محرم ، وهيأت التقارير الواردة في الليلة السابقة وذهبت لأقدمها لسماحته ، فوجدته يمشي في الغرفة وهو يتلو بصوت خافت

ما ظننته أول الأمر تسبيحاً ولكنني عرفت بعد ذلك انه يقرأ زيارة عاشوراء ، على جاري عادته في السنين السابقة . واذكر حينما كنا في النجف الأشرف ، كيف كان يستقبل محرم الحرام حيث يتوجه إلى مرقد الإمام علي بن أبي طالب (ع) ويبدأ بقراءة زيارة عاشوراء طول أيام عاشوراء ، وها هو الإمام يواصل منهجه الذي اعتاده في محرم بديار الغربة في باريس مما يدل على شدة ارتباطه واخلاصه ومحبته للأئمة أينما كان ويكون . وبعد فراغه من التلاوة طلب إليَّ ان لا آتيه في مثل تلك الساعة ، لتقديم التقارير إليه كالمعتاد خلال أيام محرم . وفي اليوم التاسع من محرم (تاسوعاء) بلغني الأخ السيد اشراقي برغبة الإمام في ان أتهيأ قبل الظهر بساعة واحدة لقراءة مجلس حسيني ، وبقيت متحيراً لاني لم أكن متهيئاً لمثل ذلك ، ولأن المحيط ـ حسب ظني ـ لم يكن ملائماً لمثل هذه المناسبة ، فرجوته بأن يخبر الإمام بأنني غير مستعد الإستعداد الكافي لقراءة المجلس الحسيني ، مضافاً إلى ذلك جو باريس وموقع الطبقة المثقفة من هذه المجالس التي كنا نعقدها في إيران .

ولما أخبر الإمام بذلك ، أرسل نداءه المتضمن منتهى الإصرار والعزم بقوله : « قولوا لفلان اني أريد مجلساً حسينياً كمجالسنا المعروفة ، يقرأه هنا . ولقد أحسست من ذلك مبلغ الولاء والعلاقة بالأئمة الأطهار ، وانه يولي هذا الجانب من المباديء النابعة من صميم الإسلام والمسلمين منذ ألف

عام أو يزيد وانه يريد عرض هذا المحتوى المقدس ولو كان ذلك في باريس وفي قلب الغرب .

وانعقد المجلس كما أراد الإمام ، وحضره عدد كبير من الناس من صحفيين أجانب وغيرهم ، وكانت علائم الحزن والأسى مرتسمة على ملامح الإمام وما ان أزفت الساعة الحادية عشرة ، حتى أشار إليَّ بارتقاء المنبر وبدأت بالقراءة ، وكان منظر يبعث على الدهشة والتساؤل من قبل الذين وفدوا علينا من أقطار أوروبية مختلفة ليشاهدوا الإمام الذي يقف كالطود الشامخ في مواجهة الشاه ومن ورائه أمريكا ، ويراه يبكي بكاء الثكلى لأجل مأساة الإمام الحسين (ع) . فما كان من المراسلين إلاّ ان يقوموا بتسجيل وقائع المجلس . وعند ختام القراءة ، لاحظت ان بعض الأفراد ممن هزته المصيبة لا زال مستمراً في النشيج والبكاء وتقدم إليَّ أحدهم وهو الدكتور (مكري) وقبّلني في جبيني وهو يقول : « اليوم وبهذا المجلس الذي قرأته ، أعدتني إلى كل الأشياء الروحية التي انفصلت عنها طوال ٢٥ سنة مكثتها هنا في فرنسا ، وقد رجعت الساعة إلى ديني ومعتقدي وثقافتي الإسلامية . . » وبينما كان يحدثني كانت الدموع تتقاطر من عينيه .

* * * * *

توزيع الهدايا في عيد الميلاد في باريس

عندما حل الإمام في نوفل لوشاتـو وفي الأيام الأولى ، واجهت المنطقة حركة غير اعتيادية من الوافـدين لزيـارة قائـد الثورة الإسلاميـة في إيران من كـل حدب وصـوب ولقد كـان بعض الجيران يتذمرون ويشكون من كثرة السيارات التي تأتي وتعـود بالـوافدين ، في حـركـة متـواصلة ممـا لم يـألفـوه في منطقتهم . . ولكن الإمام تمكن بحسن تصرفه وطيب سجاياه وأخلاقه المقتبسة من صميم الدين الإسـلامي الحنيف من ان يتـرك الأثـر الحسن في تلك الـربـوع ، ففي ليلة عيـد ميـلاد السيـد المسيح (ع) بـادر الإمام بتـوجيه كلمـة بهذه المنـاسبة تضمنت أجمـل التهـاني إلى المسيحيين في أنحـاء العـالم كـافـة ، قـام الصحفيـون ومـراسلو وكـالات الأنبـاء بنشـرهـا وإذاعتها . ومن ثم أمر سماحته بتوزيع الهدايا وبـاقات الـورد على كل بيت من بيوت المنطقة ، ولقد قمنا في تلك الليلة ، أي ليلة عيد الميلاد ، بتوزيع هدايا الإمـام على أهالي نـوفل لـوشاتـو ، ومما أثـار اعجاب الأهـالي وتقديـرهم ، لأنهم لم يصادفوا مثل هذه البادرة في مثل هذه المناسبة حتى من أقرب المقربين لهم . لذا فقد صار حـديث الناس ، ان يقـوم قائـد إيـراني مسلم بتـوزيـع الهـدايـا عليهم في ليلة ميـلاد السيـد المسيح (ع) اعراباً عما يكنه لهم من المحبة والمـودة . وأني ما أزال أتذكر تلك الليلة ، عندما طرقت أحد الأبواب وفتحت الباب سيدة ألقيت عليها التحية وقـدمت لها هـدية الإمـام مع

باقة ورد تقبلتها بمزيد من الدهشة والتعجب وقد طفرت من عينها دموع الفرح وهي تلهج بالشكر والامتنان وقد كان لهذا العمل الأثر الجميل في نفوس أبناء المنطقة ، ظهرت لنا بعد حين ، فقد قصدنا أحد الأهالي (طلب من الإمام تعيين وقت مناسب لوفد من وجهاء المنطقة يودون زيارة سماحته ، فحدد الإمام الوقت المناسب لذلك . . وفي الوقت المتفق عليه حضر عشرة أو خمسة عشر من شيوخ المنطقة يحملون بأيديهم باقات الورد ، وقد استقبلهم الإمام وطلب من المترجم الترحيب بهم وان يسألهم عن أحوالهم وحاجاتهم وما إذا لديهم أعمال خصوصية يرجون انجازها فأجابوا : ليس لدينا أي حاجة أو طلب ، ولكننا جئنا لزيارة الإمام ولنحظى بمشاهدته عن قرب ، وهذه باقات الورد هدية متواضعة نقدمها للإمام ، فأفتر ثغر الإمام عن ابتسامة عذبة ، وتسلم الورد من أيديهم مباشرة ووضعه في مزهرية كانت بجانبه مما أدخل البهجة والسرور في نفوسهم وخرجوا من عنده وعلائم الفرح والسرور تعلو وجوههم .

في إحدى الليالي شاهدت تجمعاً يصحبه صخب وضوضاء قرب منزل الإمام فهرعت أستجلي الخبر فرأيت أحد منتسبي السفارة الشاهنشاهية في باريس ، المرسل من قبل سفارته إلى هذه المنطقة ليؤدي دوراً مكلفاً به من قبلها ، وقد صادف هذا أحد جيراننا من الفرنسيين خارجاً هو وزوجته باتجاه سيارتهما ، قبل وصولهما السيارة ، وإذا به يهاجم

الرجل الفرنسي ويوجه له سيلاً من الضربـات واللكمات فمـا كـان من أخـوتنـا إلاّ ان يخبـروا الشـرطـة للقبض على هــذا المعتـدي ، ولكن الشـرطــة لم تستجب لهم بحجـة ان حق تقديم الشكوى خاص بالمعتدى عليه ، ورفض الرجل تقديم الشكوى على هذا المعتدي .

وقد سألناه لماذا لا تشكوه ؟

أجــاب : لأنني أعلم انـه مــرسـل من قبــل السفـارة الشـاهنشاهيـة في باريس وان السفـارة هي التي دفعته للقيـام بهـذا العمل لأجـل إثارة المشـاكل في المنـطقة التي يسكنهـا الإمام . . ولإشاعـة التذمـر والشكوى بين أهـالي المنطقـة ، ولكي يقال بأنه ومنذ قدوم الإمام لهذه المنطقة ، فقد أهـاليها الراحة والأمان .

ولو ان هذه المسـألة شخصيـة ، ويمكنني ان أشكوه ، وإذا ما فعلت ذلك فـان الصحف الفرنسيـة ستنشر هـذا الخبر وبحروف بارزة ، والبـرلمان الفـرنسي سوف ينعقـد للنظر في تعرض أحد الفرنسيين إلى الإهانة بسبب الإمام . . ولمـا كان من الممكن ان تصـاغ المسألـة على هـذه الشـاكلة . . فـأني سأكون سبباً في حصول الضرر وأنا لا أحب ان يتعرض الإمام لأي مكــروه . . فلذلــك قــررت ان لا أشتكي ولن أشتكـي أبداً !!! .

* * * * *

التأثير الروحي للامام على المواطنين الفرنسيين

أصبح المنزل الذي كان يقيم فيه الإمام في نوفل لوشاتو لا يكفي لاستيعاب الوفود الغفيرة المتوافدة لزيارة الإمام ، لصغر مساحته ، ولقد بحث هذا الأمر وتقرر ان ينتقل الإمام إلى منزل آخر أوسع مساحة لكي يستطيع الإمام فيه من ان يستقبل الوفود برحابة وسعة ، ولقد ذهبنا مع الأخ السيد أحمد مهري للبحث في إحدى المناطق الهادئة في باريس ، وعثرنا على منزل كبير وجيد لاستقبال الضيوف والزائرين وكانت العادة المتبعة لدى المؤجرين في باريس ان يدفع المستأجر بدل ايجار البيت الذي يريد استئجاره لمدة سنة واحدة سلفاً . . وبالفعل فقد أجرى الأخ السيد مهري العقد ودفع بدل الإيجار عن سنة واحدة وأصبح البيت جاهزاً للإنتقال إليه ، ولكن الإمام لما سألنا مستفسراً عن وضع المنزل المذكور ، وهل هو منزل عادي وبسيط أم انه يتسم بالفخامة ؟ فأجبناه بانه منزل فخم وجيد وجميل ، فقال سماحته : لا . . أنا لا أستطيع ان أسكن في مثل هذا المنزل الفخم أبداً فصرفنا النظر عنه . . .

كان من جملة الزائرين ، مجموعة من الطلبة الجامعيين الفرنسيين ، وقد لفت نظري ان هؤلاء كانوا يأتوننا في كل ليلة للإستماع إلى أحاديث الإمام وخطبه وقد استغربنا من مواظبتهم على الحضور ، فتقدم منهم أحد الأخوة الذي

كان يتقن اللغة الفرنسية ، وتوجه إليهم سائلاً : أنتم تأتون في كل ليلة للإستماع إلى أحاديث الإمام ، فهل تفهمون شيئاً مما يقوله ؟ وهل تفهمون اللغة الفارسية ؟

فأجابوا : بأنهم لا يفهمون شيئاً من خطاب الإمام لأنهم لا يعرفون اللغة الفارسية . . فقلنا لهم : إذا كنتم كذلك ، فلم تحضرون إلى هنا في كل ليلة للإستماع إلى خطاب الإمام وحديثه ؟

فقالوا : نحن عندما نحضر في مجلس الإمام ونتطلع إليه نحس إحساساً روحياً في أنفسنا يشدنا إليه ويشوقنا للعودة إليه . . .

كل يوم كان يمر على الإمام في فرنسا ، لم يكن يخلو من توجيهاته وخطبه الثورية التي كانت تحث الشعب الإيراني على الثورة والإنتفاضة ضد الطاغوت والإستعمار المتسلطين على رقابه ، وتسري خطبه سريان النار في الهشيم وبسرعة فائقة بالرغم من بعد المسافة شيء محير ترك الفرنسيين ذاهلين يطلقون سيلاً من الأسئلة والإستفسارات ، عن هذا الذي يشاهدونه بأعينهم ، وعما يسمعونه وتنقله الإذاعات والأنباء العالمية لأسماعهم . . . شيخ كبير في السن يسكن إحدى الزوايا في نوفل لوشاتو ، يلقي خطبه من هنا فيتردد صداها في جميع أنحاء إيران ، فيستعر فيها لهيب الثورة على الظالمين . وما يقوله هنا من خطاب أو توجيه يتلقفه (٣٥) مليون نسمة هناك ، يطبقون أوامره بحذافيرها فهو حينما يدعو

عمال النفط للاضراب نشاهد الإضراب وقد شل أعمال شركة النفط بالمرة ويوجه خطابه إلى الجيش الإيراني ان اتركوا ثكناتكم ومعسكراتكم ، فنشاهد الجنود يفرون من الثكنات والمعسكرات ، ويقول اتركوا أعمال البيت واخرجوا إلى الشارع للاعراب عن سخطكم على الطاغوت والمستكبرين ، فتخرج المرأة تنفيذاً لهذا الطلب . . . فما هذا الأثر االذي يتركه قول هذا الشيخ الكبير في قلوب سامعيه من أبناء شعبه ، للقيام بمواجهة الشاه والجيش الإيراني وأمريكا بكل ثقلها المفرض على إيران ؟ هذه الأسئلة وغيرها مما كانت تراودهم فيقفون ازاء هذا المكتب البسيط الذي كان له أبعد الأثر ومنتهاه ببالغ الاعجاب والتقدير ، فيتقدمون بالطلب إلى مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الفرنسي ان تقوم بتقديم برنامج خاص عن هذا المكتب يتضمن عرضاً توضيحياً عن فعالياته وجوانب عن نشاطاته وتوجيهاته ، وقد وجد المسؤولون أنفسهم مجبرين على تقديم مثل هذا البرنامج ، مرة أو مرتين في الأسبوع حيث يقوم أحد الأخوة بتقديم الايضاحات حول حركة الإمام وحركة الإسلام ويجري تسجيل ذلك من قبل المؤسسة المذكورة لإذاعتها على الجمهور الفرنسي حسب طلبه . .

ان العالم ، وأمهات الصحف ووكالات الأنباء كانوا يتطلعون ويلتقون أخبار الإمام ، فله في كل يوم خبر جديد وحادثة جديدة يعلنونها على العالم ، فالتلفزيون والإذاعات

الغـربية وخصـوصاً الفـرنسيـة تقـدم الأخبـار المستفيضـة عن الإمام في كل ليلة ، وكانت تتصدر مجموعة الأخبار ، وكانـوا يحسـون بأن أخبـار الإمام لهـا أثـرهـا المبـاشـر على روحيـة الغـربيين وخاصـة عندمـا تعرض شـاشة التلفـزيون الفـرنسي صـورة الإمام التي كـان لشخصيته الأثـر الكبيـر على غـالبيـة النـاس هناك ، ممـا حدا بـالمشـرفين على هـذه البـرامـج ان يبحثـوا بين طيات الأنبـاء عن خبر للبـاب لكي يقدمـوه أولاً ، وبعده يقدمون الأخبار الخاصة عن الإمام اما في الأوقات التي لم تتوفر فيها أية أنباء عن البابا فكانـوا يعرضـون صورتـه فقط لبضع لحظات ليتسنى بعدها تقديم خبر عن الإمام مع عـرض مصور . . .

* * * * *

الامام يرفض مقابلة شقيقة ملك الاردن

ومن الامـور التي حـدثت لنـا في اللحـظات الاولى لوجودنا في ضاحية نوفل لوشاتو (وكان من الأجدر ذكـرها في موقعها المتقدم من هذه الذكريات) مسألة تحديد القبلة وعبثاً كـانت محـاولتنـا السؤال أين القبلة ؟ في محيط سـاكنيــه من المسيحيين الذين لا يعرفون عن القبلة وعن الديانة الإسـلامية شيئاً ، ولعدم امكان تأخير الصلاة عن وقتهـا فقد تـوصلنا إلى تحديد جهة القبلة وأقمنا الصلاة . .

وعنـدما حـل وقت العصر في ذلـك اليـوم استـدعـاني الإمام وأعطاني بوصلة وطلب مني تعيين جهة القبلة بمـوجبها

ولوجود انحراف في زاوية البوصلة فقد كان يصعب علينا تعيين هذه الجهة بدقة ، فلذلك طلب مني الإمام ان أذهب إلى مسجد باريس حيث يمكنني هناك من تحديد موقع القبلة وتحديد اتجاه إبرة البوصلة بالنسبة لموقع محراب المسجد ، ولقد أخذت البوصلة وذهبت مع أحد الأخوة وكان الدكتور (مجابي) ، إلى المسجد الجامع في باريس وهناك حددنا جهة القبلة على البوصلة وعدنا بها إلى منزل الإمام وبموجبها حددنا جهة القبلة .

في الأسابيع الاولى لاقامتنا في نوفل لوشاتو وفي إحدى الليالي وبينما كنا نقيم الصلاة دخل علينا اثنان أو ثلاثة أفراد كانوا قد جاءوا تواً من إيران ولقد لاحظت بينهم المرحوم الشهيد مهدي العراقي وكان في حال ظاهر من الأسى وعدم الإرتياح وآثار السجن والتعذيب مرتسمة على وجهه وقد شاب شعر رأسه ووجهه وبعد ان أديت الفريضة هرعت إليه ورحبت به واستفسرت عن حاله ، ثم أخبرت الإمام بوصول الحاج مهدي العراقي وبرفقته آخرون من أسواق طهران ، فتفضل الإمام بالسماح لهم بمواجهته ، ودخلوا عليه ، وارتمى المرحوم مهدي العراقي على يدي الإمام يقبلها وهو يجهش بالبكاء ، لم يتعرف الإمام عليه لأول وهلة ، ولما أخبرته بانه مهدي العراقي وضع الإمام يده على رأسه وقال له : « يا مهدي ما أسرع الشيب إليك » ولم يتمكن المرحوم من الإجابة فقد كان في مواجهة الإمام وهو لا يزال يجهش بالبكاء . . . .

اعتاد الإمام يومياً بعد الفراغ من فريضة صلاة الصبح وتعقيباتها ، ان يشرع في السير على قدميه في شوارع نوفل لوشاتو ولمدة نصف ساعة تقريباً ، وفي صباح أحد الأيام لاحظ أفراد دورية الشرطة الفرنسية ، الإمام يتمشى لوحده في شوارع المنطقة فأصابتهم الحيرة والتعجب من أمره ، فأن هذا الشخص العظيم الذي طغى ذكره على جميع الأحداث العالمية يخرج بمفرده وهو لا يخشى أعداءه أذناب الشاهنشاه ومن يقف وراءهم ، يظهر في الإجتماعات ، ويشارك في صلوات الجمعة والجماعات . . .

كان الكثير من الصحفيين الغربيين من العنصر النسائي ممّن كانوا يتوافدون لزيارة الإمام ، ويتسابقون لنقل خطبه وأحاديثه ، بأزيائهم التي لا تليق بمقامه ، وكانوا يتجولون في حديقة المنزل انتظاراً للإذن لهم بمقابلة الإمام ، وغالباً ما كانت تحدث المناقشات مع بعض الزائرين من المسلمين المحافظين حول المرأة التي خرجت شبه عارية في تلك الديار . وكتبت إلى الإمام حول ذلك ، وقلت بما ان الحديقة والمنزل تحت تصرفكم فيجب على جميع الزائرات مراعاة جانب الحشمة والوقار في هذه الدار ، وتفضل الإمام وقرر بأن يرعى الإلتزام بالحجاب ، وطبق هذا القرار ولم يكن يسمح لأي صحفية أو زائرة لا تتقيد بهذا القرار ، من الدخول لملاقاة الإمام أو الدخول إلى باحة الدار مطلقاً .

في الوقت الذي كان فيه الشاه حسين ملك الأردن في

مقابلة شاه إيران ، قصدت شقيقة ملك الأردن نوفل لوشاتو وطلبت مقابلة الإمام فرفض مقابلتها . . . . . .

ومن جملة الذين جاءوا لزيارة الإمام في باريس المهندس بازرگان والسيد سحابي مع مجموعة ممن رافقهما في هذه الزيارة ، ولقد تفضل الإمام بإعلامهم بانه لا يستطيع ان يقابل أي وفد بصفته الحزبية أو الرسمية إلّا أللهم إذا كانت مقابلتهم له كما يقابل أي فرد إيراني منزهاً عن ارتباطه بأية جهة ولم يسمح الإمام لهم بمقابلته إلّا بعد نزولهم عند رأيه ، وهكذا كانت زيارة السيد جلال الطهراني عضو البرلمان الشاهنشاهي ، فقد أبلغ بقول الإمام : « أنك بسبب حفاظك على مركزك كونك عضواً في الشورى ، فاني لا أستطيع مقابلتك وأنت ترتبط بهذه الجهة مطلقاً غير اني أستطيع مقابلتك بعد قطع هذا الإرتباط كما أستقبل أي فرد إيراني جاء لزيارتي » فلم يجد السيد جلال بدأً من ذلك فقدم استقالته وحظي بمقابلة الإمام . ومما كان يلفت انتباهي ان الإمام عندما كان يقابل أمثال أُولئك الأشخاص كان يطلب منا حضور مجلسه لئلا تكون تلك الزيارات خصوصية يحرف وقائعها المحرفون كما يحلو لهم وحسبما يريدون .

* * *



الامام قدوة

بقلم

حجّة الإسلام فرقاني

سماحة الإمام من سماحة الإسلام

كان الإمام قد اعتاد ان يذهب لالقاء الدرس في الساعة العـاشرة والـربع من صبـاح كل يـوم ، وكنت أتبعه مسـرعاً ، لكي أكون بمعيته وكنت أخرج أحيانـاً بعده لانـه كان يـذهب بمفـرده إلى حلقـة الـدرس ولم يكن يخبـرني أغلب الأحيـان عندما كان يخرج .

وفي يوم من الأيام وبينمـا كنت مسرعـاً للحاق بـالإمام وجدت شيخاً كهلاً من أهالي مـازندران كـان معروفـاً بكرهـه وعدائه وغالباً ما كان يحرض الطلبـة بعدم الحضـور في حلقة درسه ، شاهدته يقبل الباب وينحني فيقبل العتبة فلم أستسـغ ذلـك منه ، فخـاطبته متعجبـاً من فعله فـالتفت إليَّ قـائـلاً : **﴿الحمد لله الذي هدانا لهـذا وما كنـا لنهتدي لـولا ان هدانـا الله﴾** فقلت فمـا حـدث إذن ؟ فلم يجبني ولكنـه سـألني هـل تـذهب إلى الـدرس ؟ وهـل الإمـام سيـأتي إلى المسجـد ؟ عجبت من أمر الرجل فانـه لم يحضر مـطلقاً ، ولـم يكن يـدع ابنـه يتقرب إلى الإمـام لتقبيل يـده ، وخرج الإمـام وانسحب الـرجل متـوارياً عن نـظرنـا من زقـاق جـانبي من شـدة خجله

وذهبت مـع الإمـام إلى المسجـد . وكنت قـد نسيت كتـاب الدرس فاضطررت إلى ان أجلس عند المنبر وعلى مقربـة من بـاب المسجد وجـاء الشيخ المـازندراني وجلس إلى جـانبي وقال لي انك تعلم تأثير بطانة السوء عليّ ، وما سمعتـه الكثير من المغـرضين الـذين قـالـوا بـأن الإمـام يقـرأ الصحف والجرائد . وأضاف الشيخ قائلاً : « في إحـدى الليالي رأيت في عـالم الأحـلام بـأني في حـرم أميـر المؤمنين (ع) ورأيت مجمـوعة من الأشخـاص ذوي مهابـة وجلال وقـد جلسوا في صفوف متقاربة ، كانوا اثني عشر ، وقيـل لي ان الثاني عشـر المهـدي (عـج) الـذي كـان يسـطع نـوراً وفي غـايـة الحسن والجمال ، كان يجلس في آخـر الصف وبعد ذلـك شاهـدت العلمـاء من السلف المـاضي بـدأوا يخـرجـون من مقبـرة المقـدس الأردبيلي واحـداً أثـر واحـد ، وحـدقت بهم النـظر لعلي أتعرف على أحد منهم ، إلى ان جاء دور أحدهم وكـان الشيخ شلال وكان شيخاً عـربياً ولقـد فرحت وأردت مـلاقاتـه وأردت ان أتحـرك فلم أستطع ، وكـأن رجـلاي قـد التصقتـا بـالأرض وعندمـا كان العلمـاء يقـدمـون احتـرامـاتهم لهؤلاء الجالسين ، يستقبلهم الإمام أميـر المؤمنين (ع) مع واحـد أو اثنين منهم من الطرفين ، ويكون البـاقون منهم مشغـولين في حـديث دائر فيمـا بينهم . وفي بعض الأحيان يقـوم سبعـة أو ثمـانية منهم لاستقبـال الوافـدين عليهم من أولئك العلمـاء . وفي هذه الأثناء رأيت السيد الخميني يصل إلى الحـرم وكنت أنت خلفـه ، ويخلع حذاءه ولمـا دخل رأيت ان هؤلاء الاثني

عشر عندما رأوه قاموا إليه جميعاً ، عادوا إلى مجالسهم إلاّ الثاني عشر فانه تقدم نحوه وناداه روح الله ، فطوى الإمام الخميني عباءته وأجابه نعم سيدي ، فقال له : تعالى فتوجه إليه بسرعة وعندما وصل إلى محاذاته رأيت ان الإمام المهدي (عج) أطول من السيد الخميني وقد كانت أذنه تقابل فم إمام الزمان وقال له : ربع ساعة . فأجابه : على عيني الشيء الفلاني سأكمله . سأكمله ان شاء الله واستمر حديث الإمام (عج) في أذن روح الله وبسرعة فائقة ربع ساعة كاملة وبعد تمامها ابتعد عنه بمسافة متر أو مترين ورجع للجلوس في مكانه . ورفع الإمام الخميني يده كمن يرفعها للتحية ، ورد الاحد عشر الجالسون على تحيته وتراجع الإمام الخميني بخطوات إلى الخلف دون ان يوليهم ظهره ولم يذهب نحو الضريح ويضيف الشيخ : فقلت لِمَ لم يذهب السيد الخميني إلى الضريح للزيارة ، فقيل لي ان أمير المؤمنين (ع) جالس هنا فلم يذهب إلى هناك ؟ وتوجه الإمام بعد ذلك نحو (الكشوانية) وقدمت له حذاءه وخرج من باب الصحن مسرعاً . وانتبهت من النوم وبدأت أبكي فنهضت زوجتي وشاهدتني وأنا أبكي . ونظرت إلى الساعة فكانت تشير إلى بقاء ساعة واحدة إلى موعد آذان الفجر . فرجعت إلى نفسي أوبخها فلقد جفوت فيا رب تجاوز عن تقصيري واسرافي فأنا من الآن مؤمن بمنزلة هذا السيد الجليل ، ولكني لحد الآن لم أكن مرتاحاً وأول عمل قمت به هو ذلك الذي شاهدته من تقبيلي الباب وعتبة الدار ولم يشاهد ذلك سواك وقررت ان

أنشر فضائل هذا الرجل العظيم . والخلاصة فهذه هي قصتي ولي رجاء منك وحسب استطاعتك ان تعرض قضيتي على الإمام ليسامحني ويعفو عني .

وعند خروجنا من المسجد أخبرت الإمام بما دار بيننا ، فقال الإمام لقد عفوت عنه وسامحته عن كل بادرة منه . وجاءني بعد ذلك يعدو وعيناه تذرفان الدموع وهو يستجلي ما آلت إليه النتيجة فأخبرته ان الإمام سامحك ، عن أي عمل قمت به ضده ، فوقع ساجداً لله شكراً ، وأصبح بعد ذلك يحضر ليل نهار وشمله الإمام بنظرة خاصة . وحسن دنياه فحسنت آخرته .

*****

الخميني لا يبكي

في الليلة التي توفي في صبيحتها الحاج سيد مصطفى الخميني ، التقيت أحد السادة الوعاظ ، من الذين كانوا يقصدون الإمام عند وجوده في الحرم المقدس ، لطلب أو استشارة جاءني هذا الواعظ وقال : لي مطلب لدى الإمام فهل أعرضه عليه أم لا ؟ فقلت له : وما المانع من ذلك ؟ ويظهر ان الواعظ المذكور كان يحاذر من ان يكون طلبه هذا قد يؤدي إلى ارهاق كاهل الإمام مما يسبب له الإزعاج وعدم الراحة ـ كما كان يعتقد لقلة الموارد المالية الواصلة إليه من إيران ، وسيتسبب ذلك في ارباك وضعه المالي الذي سوف

لا يمكنه من تقديم المساعدات فيفقده الراحة ، ولذلك فقد جاءني بالسؤال قبل ان يعرض طلبه على الإمام . وطلبت منه ايضاح مضمون الطلب ، فقال : ان هناك رجلاً عاجزاً يدعى (شوشتري) كان قد أصيب بالشلل منذ سنتين أو ثلاث سنوات وهو رجل قاريء للقرآن حسن التدين أبٌ لخمسة أو ستة أولاد صغار ، وقد رجاني ان أذكره عند الإمام لغرض مساعدته مما ألمّ به من مرض وفاقة . وعرض الرجل الموضوع على سماحة الإمام فقال له أخبر السيد فرقاني لكي يذكرني غداً بذلك وعاد لي وأخبرني بالنتيجة . واتجه الإمام لزيارة الحرم المقدس ولدى وصوله باب الصحن التفت إليَّ وناداني باسمي قائلاً : غداً وفي الساعة التاسعة صباحاً ذكرني بموضوع هذا الرجل المريض . وكان لدي دفتر صغير للملاحظات دوّنت فيه ما طلبه الإمام لئلا أنسى ولأني إذا نسيت فان الإمام لن ينسى ويقوم باداء ما طلب .

كنت أخرج من البيت يومياً في الساعة الثامنة صباحاً ولكني خرجت من ذلك اليوم في الساعة السابعة والنصف قبل موعدي الذي اعتدته ، وما ان وقع نظري على الشارع فقد واجهتني تجمعات غير اعتيادية . نعم كانت أمواج زاخرة من العمائم البيض قد ملأت الزقاق . . . ورجعت إلى نفسي أفكر فيما حدث . . . واعترتني هزة شديدة . . لأنهم كانوا متجمعين أمام منزل الإمام . . فماذا يعني هذا ؟ وتقدم نحوي شيخ فاجأني بقوله : هل ستأخذون جنازة الحاج السيد

مصطفى إلى كربلاء ؟ .

فصعقت لهول النباء ولم تعد رجلاي قادرتين على الثبات فغمغمت قائلاً : يمكن كربلاء ، فأنا لا علم لي بذلك . واخترقت هذه الجموع الباكية الحزينة ووصلت الباب فوجدت السيد أحمد الخميني قد إتكأ على الباب المغلق ، حاسر الرأس يقوم آناً ويجلس أخرى بصورة لا إرادية يبكي ويندب أخاه الشهيد بهدوء وتحفظ ، ثم اتجه إليَّ مجاميع الطلاب وطلب إليهم ان يهدأوا لكي لا يفاجأ الإمام بهذه الفاجعة فتؤثر عليه صحياً ، ولكنه لم يدر ان (المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف) وهذا هو الخميني في ثبات جأشه . وحرص السيد أحمد ان يجري وبتنسيق مع بعض الأخوة لقاء مع الإمام ومن خلال الحديث الدائر في حضرته يمكن التلميح إلى تلك الحادثة المحزنة عن كثب للتخفيف من وقعها المؤلم على الإمام . وتم ذلك وفي أثناء الحديث الدائر فيما بينهم وفق ما وضعوه من أسئلة واستفسارات حول مرض الشهيد المرحوم ، لم يتمالك السيد أحمد نفسه فانفجر باكياً وحاول السيطرة على عواطفه الجياشة فلم يستطع فالتفت الإمام إليه قائلاً : ما بك يا أحمد هل مات مصطفى ؟ ان أهل السماوات يموتون ؟ وكذلك أهل الأرض ولا يبقى منهم أحد وكلهم يفنون . . واتجه إلى الآخرين وقال لهم أيها السادة اذهبوا إلى انجاز ما ينتظركم من أعمال وانسحبنا إلى باحة الدار وسرعان ما انتشر الخبر وانتقل

الإمام إلى صحن الدار وقصده العلماء وجموع غفيرة لتقديم التعازي إليه ، وفي هذه الأثناء تذكرت موعد الساعة التاسعة الذي طلب الإمام ان أذكره به وبقيت حائراً كيف سيتسنى لي تنفيذ ذلك في مثل هذا الظرف الحرج وسكت على مضض .
وفي لحظة من اللحظات وجدت الإمام ينظر إلى شزرا مما جعلني أعود إلى نفسي أسألها ماذا عسى ان يكون في قيافتي شيء غير منتظم ؟ أم ماذا ؟ وكان دائماً يتكلم معي بالنظرات . فتقدمت نحوه فقال لي هامسا : ألم يكن من المقرر ان تذكرني في الساعة التاسعة حول طلب الشيخ الواعظ والآن الساعة تشير إلى التاسعة وعشر دقائق . وعظم الأمر عليّ وبينت بأن واقع الحال قد حال بيني وبين أداء هذا الواجب . وأشار إليَّ فتبعته إلى الغرفة وسلمني ظرفاً فيه مبلغ من المال ختمه بنفسه دون علم أحد وطلب مني ايصاله تواً إلى الشيخ شوشتري بعد ابلاغه تحياتي والإستفسار عن أحواله . وحسبت ان في الوقت متسعاً وان الإمام لن يذهب إلى المسجد ذلك اليوم للدرس واقامة الصلاة وان الوضع لا يسمح لي بمغادرة المكان لكثرة الوافدين على الإمام لتقديم التعازي إليه . وبعد خمس دقائق فاجأني الإمام بقوله : ألم تذهب حتى الآن ؟ فأجبت : سأذهب حالاً .

وذهبت إلى منزل شوشتري وطرقت الباب مستأذناً وفتحت الباب امرأة مستفسرة من الطارق ؟ فقلت : مبعوث من السيد الخميني إلى الشيخ الشوشتري يستفسر عن

حالته ، وما ان سمعت المسكينة ذلك حتى تأثرت كثيراً وانطلقت بالعويل والبكاء ، ودخلت الدار فسلمت على الشيخ المسجى في فراش المرض وقلت له : ان الإمام الخميني أرسلني إليك يستفسر عن حالك ، وسلمته المظروف فما كان منه إلّا ان يظهر الحزن الشديد والأسف العظيم وصاح وناح ولم أفهم شيئاً مما كان يقول وأوضحت زوجته قوله وترجمت لي كلماته ، التي تضمنت تعبيره بالشكر والاعجاب لموقف الإمام في تفقده وصلته له بالرغم من اصابته بهذه المصيبة الفادحة فيا لله لهذا القلب الكبير ! ورفع يديه داعياً إلى الله سبحانه وتعالى ان يحفظ الإمام ويمنحه العمر المديد وسجد لله شاكراً بالرغم من شلل أغلب أعضاء جسمه . .

وعدت إلى بيت الإمام وبادرني بسؤاله : هذ ذهبت إليه ؟ فقلت : نعم ، وبعد ان انفض الناس وارتفع صدى الأذان لصلاة الظهر ، جدد الإمام وضوءه وأخبرني بأنه سيتوجه إلى المسجد لصلاة الجماعة فعجبت . وأرسلت من يخبر القيم في المسجد بأن يهيىء المكان للصلاة وحسب المعتاد وعندما علم الناس بقدوم الإمام إلى المسجد لأداء الصلاة تجمهر العديد منهم وكان يوماً مشهوداً اختلطت الصلاة والدعوات بالنحيب والبكاء واستبد العجب وعقدت الدهشة ألسنة الحاضرين وهم يقولون : (الخميني لا يبكي أبداً) ولكنه في مجلس التعزية المنعقد بعد أداء الفريضة يبكي عند ذكر مصائب أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .



الامـــام قـــدوة

بقلم

حجّة الإسلام دعائي

حكمة الإمام

من الامور التي كان يسعى الإمام لاتخاذ جانب الدقة وبعد النظر فيها الإجابة على الأسئلة التي لها مساس بالقضايا الإجتماعية ، بحيث لا يترك فيما يقوله منفذاً لكل من تسول له نفسه الصيد في الماء العكر فيغير الكلام عن مواقعه وأهدافه الحقيقية فيتخذ منه المغرضون وسيلة للانتقاد أو سوء الإستفادة مما هو في غنى عن ذلك . .

كان الإمام الخميني حفظه الله المبادر الأول من بين رجال الدين في العالم في مساندة الثورة الفلسطينية ورجال الثورة الفلسطينية المسلمين في نضالهم حينما أوعز إلى المسلمين للمشاركة في هذه الثورة بكل الإمكانات وخاصة المالية منها ، فأصدر فتواه الشهيرة في حينه ، ان من الوجه الشرعي اعطاء الزكاة إلى مقاتلي الثورة الفلسطينية كمساعدة لهم تدعمهم في مواجهة العدوّ الصهيوني . وكانت هذه الفتوى صريحة في بيانها ومعناها ، وتعتبر أول فتوى من نوعها كان لها أكبر الأثر وكان لها صدى حسن خاصة لدى

الشعب الإيراني المسلم ، الذي أبدى استعداده الكامل لتطبيق هذه الفتوى التي طرقت مسامعهم ضمن نداء صادر من قبل الإمام . ومن ذلك المنطلق فقد استغل ذلك النداء أحد المستغلين ، وكان من العناصر التي تقوم بتدبير شؤون رجال الدين في أحد المساجد المعروفة في طهران . فقد ادعى هذا الشخص أمام الملأ بأنه مأمور من قبل الإمام لجمع التبرعات ومبالغ الزكوات وانه يحمل الشرعية التي تخوله تسلم هذه المبالغ وتجميعها لمنفعة الفلسطينين . واستبشر الناس من هذه المبادرة الحسنة ، وابتهجوا لأن الإمام لاهتمامه الشديد بهذه القضية قد أرسل من ينوب عنه لجمع هذه التبرعات وحقوق الزكوات . ولكن بعضهم عادوا إلى أنفسهم متسائلين بدافع من الحيرة والتعجب :

كيف تم اختيار هذا الشخص دون غيره ؟ وهل هو منتدب من قبل الإمام أم لا ؟ وقطعاً لدابر الشك والريبة فقد حرر الأم السيد كروبي رسالة وحملها السيد احساني إلى الإمام في النجف الأشرف فيها عن حقيقة تفويض هذا الرجل من قبله لتسلم المبالغ المذكورة ومدى صحة ذلك . وقد قدمت الرسالة إلى سماحته حال وصولها . وطالع الإمام السؤال المقدم إليه ، فقال : أنا لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال فقلت : لماذا ؟ فقال : لانهم ذكروا لي اسم هذا الشخص الصريح ، وهو مرتبط عائلياً بإحدى الشخصيات العلمية التي لها أهميتها المرموقة في جهاز المرجعية وقد ،

كـانت تسكن النجف الأشرف قبـل مدة من الـزمن . لـذلـك رفضت الإجابة على السؤال ، لأن الجـواب سوف يؤثـر على مركزية الشخص والشخصية الدينية التي يرتبط بها ، وأنـا في الحقيقـة لم أدر انهم يسيئون الإستفـادة على هذه الشـاكلة ، ويمكنكم والحـالة هـذه ان تطرحـوا السؤال بهـذه الكيفيـة : (هـل أرسلت شخصاً من قبلك وأجـزت له جمـع التبرعـات للجهة المذكورة أم لا ؟ وأنا أجيب على ذلك) .

ان هـذا الحدث يلفت النـظر إلى مـا يتميـز بـه الإمـام حفظه الله من بعد النظر والحرص الشـديد على سمعـة رجال الدين ومن يلوذ بهم ، دعماً لسلامة الخط المرجعي .

* * * * *

الوضوح .. والثبات

أنتم تعلمون اننا قـد أقمنا في العـراق قرابـة (١١) سنة وكانت هذه الإقامة بسبب ما لاقيناه من المشاكل في إيـران . فلأجل سلامتنا وسـلامة الكثيـر من الاخوان ، اضـطررنا إلى ترك إيران والتوجه إلى العـراق ، إذ لو كنـا قد بقينـا في إيران لتعرضنا إلى الهلاك ولقضي على نواة المقاومة وعنـاصرهـا . في تلك المـرحلة نشأت معـرفتي الحقيقية القـريبـة بـالإمـام وبمجلسه .

من الملاحظ في المجتمع الـروحاني ، وعلى الأخص فيمـا يتعلق بـالشخصيـات المـرمـوقـة التي تسيـر على خط

المرجعية أو ان مرجعيتهم ثابتة ، انه يجتذب أشخاصاً لهم القدرة على العمل وعلى الإفادة والتأثير . وعليه فإن الحوزات العلمية الفردية التي لم ترتبط بعد ارتباطاً منتظماً بطبقة من طبقات رجال الدين تكون نواة للعمل ولوضع برامج لكسبهم ، اما ملاحظاتي خلال ارتباطي بالإمام ، من توجه الكثيرين من الأخوة والأصدقاء المخلصين إلى رحاب مجلسه وانشدادهم إليه بعلاقة إيمانية عميقة كان بسبب عدم اتخاذ أسلوب الأفراد أو جذبهم إليه ، وهذه فتأت عن اعتقاد الإمام (بأنه ما دام لكل فرد اعتقاده فأن أساس العقيدة والفكرة الخالصة تنبع من هذا المنطلق وتتيح له المجال الواسع للعمل في خدمة الله سبحانه وتعالى) .

كانت النتيجة ان أصبح بيت الإمام محوراً لتجمع الكثير من الأصدقاء المخلصين الصادقين الذين كانوا يريدون خدمة الإسلام . وباختصار ، ولم يكن الإمام يجيز لأحد أو يسمح له ان يستغل اسمه أو أسماء أصدقائه لجذب الآخرين أو كسبهم للعمل معهم بأي حال من الأحوال وعلى هذا الأساس فقد كان الاخوان الموجودون هنا يتمسكون بصراحة متناهية في القول والعمل ، في جميع ما يطرح على بساط البحث أو يحدث أو يتطرق إليه عند حضورهم لدى الإمام ، وكانت الأمور تناقش برحابة صدر وبدون خجل ولا تملق ، ولا إكراه حيث كانو يعيشون أدق الملاحظات التي كانوا يمرون بها .

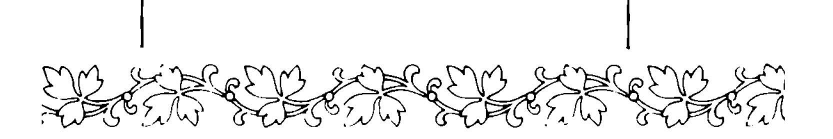
وكدليل على ذلك ذهبت يوماً إلى الإمام في أمر من الامور وشرحت المسائل والحوادث التي حدثت في وطننا وخاصة تلك التي لها علاقة بالحركة التي تحمل ذهنية الروحاني المتفتح المناضل وانه يجب حماية هذه الحركة وتأييدها ، حسب الإستنتاج الذي توصل إليه الاخوان حول حماية هذه الحركة وتأييدها ، وان من لا يؤيد هذه الحركة سوف ينفصل عن الناس ويعيش العزلة جراء موقفه هذا ألقيت ذلك على مسامع الإمام صراحة وبدون ابهام ، وأضفت القول : ان عدم تأييد هذه الحركة سيعرضها للانزواء والإنفصال عن الناس . فتفضل سماحته قائلاً : إني إذا أعطيت رأيي في شيء يوماً ما وكان هذا الرأي سبباً لابتعادي عن الناس في قرية نائية أو في جبل لا يقطنه بشر ، وأكون مجبوراً للعيش فيه لوحدي ، فاني ومع كل ذلك سأبقى أدافع عن وجهة نظري وسوف لا أبالي فيما يحدث لي بعد ذلك ، لانها عقيدتي وفكرتي وبموجبها اتخذت هذا القرار .

وكان اصرار سماحته هذا نابعاً من الفكرة والعقيدة التي يحملها ، وهذا ما كان لافتاً للنظر لان الكثير من كبار الشخصيات وغيرهم قد أعلنوا عن تأييدهم لهذه الحركة التي نشأت داخل قطرنا إيران ووقفوا إلى جانبها ، وقصدوا الإمام يلحون عليه لاصدار قراره بخصوص هذه الحركة وان يترك جانب من الحياد ولكن الإمام بثاقب فكره ونظرته المتفتحة والواقع الكوني الذي كان يتبعه ، شخص الحالة بأنها لا

توجب حماية الحركة بهذا الشكل خاصة وانها لم تتوضح هويتها وأهدافها بعد .

وكانت هذه الحركة المسلحة قد تلقت منذ أوائل سني عمرها ، التأييد والحماية من قبل الكثير من الشخصيات الكبيرة في المجتمع الروحاني والسياسي والمذهبي في إيران وكان على رأسهم حضرة آية الله الطالقاني (رحمه الله) وكانوا يطلبون من الإمام بيان موقفه بتعابير عجيبة في رسائلهم الموجهة إليه وكذلك كان حضرة آية الله منتظري وبعض الشخصيات الأخرى وحتى المرحوم آية الله المطهري ففي اليوم الذي تشرف بالمجيىء إلى النجف الأشرف وبعد ان توضحت له الأمور قال : لقد انزلقنا جميعاً ما عدا الإمام لتميزه عنا بالنظرة الواقعية والإعتماد على استنتاجه الفكري والعقائدي باصرار في عدم تأييد القضايا والأشياء المبهمة أو شبه المبهمة . ومن خلال تمسكه بهذه الفكرة والعقيدة فقد صان نفسه من الانزلاق وقد اتضح للملأ آثار هذه الحكمة بعد فترة من الزمن . . . .

* * * * *



الامـــام قـــدوة

بقلم

حجّة الإسلام

السيد حميد روحاني

١٠١

علمية الإمام

ان الإنسان المتتبع للسير ودراسة الشخصيات إذا أراد ان يتطرق إلى دراسة شخصية الإمام وما تمتاز به من خصائص فانه بنتيجة البحث والاستقصاء والتحليل لم يستطع اتمام بحثه هذا بكتاب واحد بل إلى عدد من الكتب ولقد قيل في الأدب الفارسي القول المشهور « مثنوى هفتاد من كاغد شود » أي ان ديوان مثنوى يزن سبعين منا من الورق ويستخلص من هذا القول إلى ان جمع هذه الخصائص والمميزات في كتاب واحد لا يكاد يفي بالغرض المقصود ، ولكن الذي يقصد البحر المحيط لا يمكنه استيعاب ما فيه إلاّ بقدر ما يحتاجه لارواء غليله (فما لا يدرك جله لا يترك كله) وأول خاصية يتميز بها الإمام جديرة بالإهتمام هي درجته العلمية ، فان الكثير من مجتهدينا وفقهائنا قد تخصصوا في فرع واحد من فروع العلوم الإسلامية فمنهم من اختص بالفقه والآخر بالأصول آخر بالفلسفة ومن النادر ان يوجد مجتهد له اختصاص عام بجميع موارد الفقه وبالوقت نفسه له اختصاص مماثل في علم الأصول أو ان مجتهداً بعلم الأصول بالدرجة

الاولى ، قد اجتهد أيضاً بعلم الفقه وبالفلسفة ، وقد يكون فيلسوفاً وفقيهاً في آن واحد ، أو قد يكون فقيهاً وفيلسوفاً معاً ، وأمثال هؤلاء من القلة النادرة ، وفي هذا الوسط النادر نرى شخص الإمام وقد تجاوز الحد الطبيعي في مختلف العلوم فهو باعتراف الكثير من الأفاضل والعلماء وذوي الخبرة في الأصول والفلسفة وفي سائر المعارف الإسلامية وحسب اختصاصهم أمكنهم القول بانه ليس له نظير بين المراجع وعلماء الإسلام ، ليس في تاريخنا المعاصر فحسب بل حتى في التواريخ السابقة إذ قلما نجد بين الفقهاء والمجتهدين في ذلك العصر من نبغ منهم في كل العلوم والمعارف الإسلامية ، (عدا من كان لديه مجرد الاطلاع على بعضها) فعلاوة على الاطلاع الكافي فان الإمام كان يمتلك التخصص في ذلك . وعلاوة على ذلك فقد كانت له موهبة شعرية فائقة ، وأتذكر اني عندما قمت بنظم محتويات كتاب (الجهاد مع النفس أو الجهاد الأكبر) شعراً ، وبمناسبة تفضل سماحته آنذاك في القاء بحوث مستفيضة عن الأخلاق بيَّن لنا بان الكثير ينظرون إلى ما حولهم نظرة مادية محدودة ، وعالمهم هو ذلك العالم المادي البحث وليس لديهم نظرة أخرى غير ذلك ، متجاهلين ان هناك شيئاً أكبر وأوسع من هذا العالم المادي ، فنظمت بيتاً من الشعر : « جوكرمي كه ميان سيب نهان است زمين واسمان اوهمان است » ومعناه بالعربية : (مثل الدودة في وسط التفاحة ترى السماء والأرض في ما وسعته هذه التفاحة فقط) .

وقبل ان أدفع هذه المدونات إلى الطبع ، طالـع الإمام ما كتبت فكتب مطالعته بصدد هذا البيت وانه غير موزون فـان الشـطر الثاني منـه لا يتنـاسب والشـطر الأول حسب القـافيـة وميزان الشعر ، إلاّ إذا كتب على هذه الشاكلة :

« چوكرمي كوميان به نهان است زمين واسمـان اوهمان است » فتم وزن البيت وتـرتيبـه بصـورة أحسن ولم يتغيـر المعنى وهذا ميزة أخرى امتاز بها الإمام ، وإلى هذا الحد من الدقة وسرعة البديهة .

واتمـاماً لحـديثنا عن الخصـائص التي امتاز بهـا الإمام نقـول انه امتـاز بخصيصة منـظور للإسـلام من جميع جـوانبه وأبعـاده ، فقد ربط العمـل بعلمه ومعـرفته ، ووضـع العمـل لمناسب في مكانه المناسب ، فالعبادة في محلهـا والسياسـة في محلها . فالقضايا السياسية ، والإجتمـاعية ، والأخـلاقية كل منها في مكانها المناسب لها ، انه ينظر إلى جميع القضايا من منظور إسلامي دقيق نظرة الدارس والباحث .

وأثناء وجودي مع الإمام في النجف الأشرف مدة تنـاهز الأحد عشر عاماً لاحظت خلال هـذه المدة ان الإمـام عندمـا تعـرض للقضايـا السياسيـة الكبيرة ، لم يغيـر من نشاطـه في المثابرة على تدريس الفقه الإسـلامي في الحوزة ولا أصـاب ذلـك المنهج الـدارسي شيء من البـرود أو الإهمـال . ولقـد

لاحظنا الكثير من طلابه ، ان أغلب الحوادث السياسية كانت تحول بيننا وبين الحضور إلى الدرس ، أو كنا نحضر الـدرس ولكن ببـرود وعـدم اهتمـام ولكن الإمـام لم يكن يتـأثـر بمـا يحـدث وهو عنـدما كـان يجلس على كرسي الـدرس ويقـوم بـالقاء الـدرس لم يكن همّه إلّا ان يعـطي الموضـوع حقـه ، ففي درس الفقه أو المسائل العلمية الأخرى فانه ينصرف كلياً للتحقيق والبحث فيها وكأن لم يحدث له أي شيء سواء له أو للآخرين ومن ذلك يتبين لنا مدى اهتمامه بالفقه الإسلامي .

* * * * *

احاطته بالوضع السياسي

اما عن علاقـة الإمام وإحـاطته بـالجانب السيـاسي ، فنستطيع هنا ابراز خاصية امتاز بها الإمام ، هي سرعة التعرف على نقـاط ضعف العـدوّ ، وأين تكمن ، فيبـاغتهـا بتـوجيـه ضربته من خلالها . . ففي اليوم الذي تعرضت فيها المـدرسة الفيضيـة إلى الحملة الـوحشيـة بتـاريـخ ٢/ فـروردين ١٣٤٢ هـ . ش المصـادف ٢٢/ آذار/ ١٩٦٣ وكـان الإمـام ضمن الذين تحملوا آثار هذه الهجمة الـوحشية الشـرسة على المدرسة الفيضية ، وذلك لإسكـات الروحـانيين ولإخراجهم من الساحة وليكفـوا عن القاء البيـانات والخـطابات ، والقـاء الوحشة بينهم وبين الجمهور .

قام النظام بحملته الوحشية على المدرسة الفيضية وتضمخت الأرض بالدماء ، وانتشر الرعب والخوف ، في أرجاء إيران كافة وكان ذلك كافياً ان يحبس الأنفاس في الصدور مدة خمسين سنة أخرى ، ولكن الإمام وببعد نظره أدرك ما يبيته النظام ، وما اتخذ من تدابير قمعية ومخططات جهنمية ، فبادر إلى المواجهة وصمد للمؤامرة وأحبطها بعزم وثبات لا نظير لهما ، قلما نجد من أمثاله بين القادة . . فقد مر على حادثة مدرسة الفيضية أسبوع كامل ومع ذلك ظلت أبواب بيوت الكثير من العلماء والمراجع مغلقة منذ يوم الحادث ، وظل الكثير من الروحانيين وطلبة العلم قابعين في مساكنهم ولم يجرأ أي منهم على الخروج إلى الشوارع بملابسهم وزيهم الروحاني ، كما كان الناس لا يجرأون على التقرب من منزل أحد من المراجع الدينية . . لقد كان الرعب والخوف من الأحكام العرفية المعلنة قد ملأ الأنحاء كافة بوضع غير اعتيادي موحش . . وفي هذه الأجواء المملوءة بالخشية والهلع يباغت الإمام الناس بصدور بيان يقول فيه : « تأييد الشاه يعني السطو والنهب ، وتأييد الشاه يعني قتل البشر واستباحة الدماء ، وتأييد الشاه ومحبته يعنيان هدم الإسلام ، ومحو آثار الرسالة . . » صدر هذا البيان وكان بمثابة الماء المنسكب على ألسنة اللهب . فأخمدها بأسلوب طريف يجلب الإنتباه وبمهارة فائقة يضرب السلطة الجائرة بالصميم ويقلب خططها رأساً على عقب ، مما جعل النظام

عاجزاً مبهوتاً ازاء ذلك الموقف الذي امتاز بالإنتباه إلى مواطن ضعف العدوّ ليوجه له الضربة القاضية من خلالها .

ومن هذا المنطلق أيضاً وقبل (١٥/ خرداد/ ٤٢) واجه النظام أعاصير الثورة في طول البلاد وعرضها وبايعاز من السلطة استدعى الأمن الإيراني (الساواك) العلماء والخطباء الروحانيين في طهران وقال لهم : « اننا لا نريد ان نقول لكم لا تنتقدوا الدولة اطلاقاً ، ولا تتكلموا نهائياً ، ولا تتطرقوا إلى لقضايا السياسية أبداً من فوق المنابر والمساجد ولكننا نريد منكم تجنب أمور ثلاثة فقط : ما كان موجهاً ضد الشاه ، وما كان ضد إسرائيل ، والقول المستمر بأن الإسلام في خطر ، وعدا هذا فالخوض والقول فيه مباح لكم » . ولما وصل الخبر إلى مسامع الإمام ، تفضل سماحته بالقاء خطاب في يوم (١٣ خرداد) تناول فيه إسرائيل بما لا يقل عن (١٠) أسطر قال فيها : « إسرائيل لا ترغب بوجود القرآن في هذه المملكة ، إسرائيل لا تريد رجال الدين في هذه المملكة ، وانها لا تريد إلاّ القضاء على المسلمين في هذه المملكة ، وتريد الهلاك والدمار لهذا الشعب ، وتريد ان تشل الزراعة وتقضي على التجارة » ثم توجه بخطابه إلى الشاه قائلاً : « أيها المسكين ، التعيس الحظ ، لقد انقضى من عمرك ٤٥ عاماً فتأمل قليلاً وتدبر أمرك ، أنا لا أرغب في ان تصل إلى مصيرك السيء عندما يتخلى عنك أولياء أمرك وأرباب نعمتك ، وان يطيحوا بك ، وسيحتفل الشعب ويعلن عن

فـرحته بتحـطيم الأصنـام التي قلمـا تجـد لهـا في الحـوادث التاريخية نظيراً » .

* * * * *

ارادة وتصميم

عنـدمـا كنـا في النجف الأشـرف خـلال عـام ١٣٥٣ (١٩٧٣م) طرقت أسماعنا ان نظام الشاه قد أقـدم على خطة للتفاهم والوفـاق مع بعض علمـاء قم المقدسـة ، ومن جملة هؤلاء السيد شريعتمداري ، وكان مقـرراً ان يسافـر الشاه إلى مـدينة قم وهنـاك يتقاطـر عليه هؤلاء البعض من الـروحـانيين لزيارته ويكون من جراء هذا الالتقاء والوفاق المقصود ، لردم الهوة العميقة الحادثة بين الـروحانيين والبـلاط الشاهنشـاهي وقد قال شريعتمداري في حينـه (كما نقله الـراوي إلينا) : ـ (ليس عنـدي ما أقـوله ، ولكن مـا العمل مـع تمنع وتصـدي الإمام لهذا التفاهم والاصلاح) ومن ذلـك الوسط اختيـر أحد العلماء وكان بسيـطاً ساذجـاً بعيداً عن التجـارب ، لكي يقنع الإمـام بـأن الشـروط المـطروحـة من قبـل السلطة صـالحـة وجيدة ، وإذا تقابل الشاه مع بعض علماء قم فـالمراد منـه ان لا يتصدى لما يحـدث ويترك الأمـور تسير سيـرها الـطبيعي .
ولـم أشاهد الإمـام بعد ذلـك يتناول شخص الشـاه في بيانـاته وخطبه إلاّ في ١٦ رمضـان / ١٣٩٣هـ حيث أصدر سمـاحته بيانه القائل :

« . . . . شاه عديم الشرف يظهر الموالاة والخضوع لأمريكا وبالواقع فهو تابع لها ، حتى في دفاعه وحمايته لإسرائيل ، انه شاه إيران ، الذي أطلق يد إسرائيل في أنحاء إيران كافة . . . انه الشاه الذي سلم نفط إيران لأعداء الإسلام والبشرية . . . شاه إيران الذي هيّأ الساحات لقيام التظاهرات المؤيدة من قبل الروحانيين التابعين للبلاط ومؤسسات الأوقاف والأمن وباسم علماء الإسلام يصدرون برقيات التهنئة والتبريكات . . .

وبأمر من هذا الرجل الخبيث هوجمت مدارس البنات وهتكوا المحترمات منهن وسلبوا منهن الحرية . . . . . . واني أحس بالخطر من تصرف هذا الخادم المطيع لأمريكا على العالم الإسلامي . . وان وظيفة العلماء الأعلام والمبلغين ، يحتم عليهم واجبهم الديني ان يفضحوا جنايات هذا العفريت المصاص للدماء ، أمام الملأ وليكشفوا للناس دخائل نفسه الخبيثة ليطلعوا عليها أكثر فأكثر . ولقد نبهت إلى خطر إسرائيل وأذنابها وعلى رأس أولئك الشاه مراراً وتكراراً . . . وإذا ما بقيت هذه الغمامة الكثيفة مسيطرة على الأجواء فان إيران سوف لا ترى الحرية أبداً .

وعلى ذلك فقد أغلقت جميع أبواب التفاهم والتباحث مع العلماء والطاغوت وفشلت كل المساعي التي بذلت في هذا السبيل . . .

* * * * *

ثورة دائمة

لقد عمل النظام الشاهنشاهي المقبور على توطيد النظام الرأسمالي في إيران بعد ان جدّد العمل بهذا القانون المجحف الذي منح الأمريكيين المقيمين في إيران استثناءات قانونية واسعة على حساب الشعب الإيراني ، أعطتهم حق التمتع بحصانة دبلوماسية غير محدودة ، وشجب الإمام ذلك التصرف الشائن وبدت عليه آثار الغضب والتأثر ، وعرف النظام موقف الإمام اتجاه هذه السياسة الخرقاء وانه لن يسكت عليه بل سيواجه هذا التدبير ويتصدى له بكل عزم وثبات . فبادر النظام إلى تكليف أحد الأشخاص الذين لهم معرفة بالإمام ، وله علاقة وارتباط بالنظام لمواجهة الإمام واقناعه بأن لا يتعرض لأمريكا في خطبه وأقواله . ووصل هذا الشخص إلى مدينة قم المقدسة ، ولما استأذن لم يمسح له الإمام بمقابلته ، وفشل في مسعاه فاضطر إلى مقابلة الأخ الشهيد المرحوم الحاج مصطفى وبين له خلاصة القول الذي يحمله ، المتضمن بأن : (الجو الآن حساس ودقيق جداً ، وأمريكا قد وظفت في هذا البلد ملايين التومانات خدمة للتنمية التجارية وازدياد المكاسب لذا فان أي كلام أو انتقاد يوجه إلى أمريكا فهو بالذات موجه إلى الشاه بل وأخطر من ذلك . وعليه فالسلطة ترغب ان لا يتعرض الإمام إلى أمريكا أثناء القاء خطبه وأحاديثه على الناس بأي حال من الأحوال لأن ذلك أخطر مما لو أراد ان يتناول الشاه بالنقد والتجريح) .

من ذلك ظهرت للإمام نقطة الضعف واضحة في كيان العدوّ المستبد ، فعول على ضرب النظام الرأسمالي والإستعمار الأمريكي الذي رمى بكل طاقاته وثقله في إيران ، فخرج على الملأ الحاشد في مدينة قم المقدسة بخطابه التاريخي الخالد : (فليعلم رئيس الجمهورية الأمريكية بانه اليوم من ألد أعداء البشرية في هذا القطر ، فالقرآن له خصم ، والشعب الإيراني له خصم . .) . ومن خلال البيانات والمنشورات الأخرى التي أصدرها على هذا النهج ، تناول فيها أمريكا وسياستها الإستعمارية بالهجوم العنيف لدرجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ النضال والجهاد الإيراني أبداً .

ان بعد النظر ، والتغلغل إلى عمق الأحداث والوقائع والتعمق في كل شاردة وواردة جعلت الإمام (قدس سره) يتمتع باحساس عجيب للحكم ليس على النظام فحسب بل وحتى في مواجهة الأشخاص قبل ان يبوحوا بما انطوت عليه ضمائرهم .

وقد أوضح سماحته في معرفة السؤال منه : ما هي الآثار والوقائع التي تتوقعون حدوثها أو ملاقاتها فيما لو رجعتم إلى إيران ؟ فكان جوابه : « مما رأيت . . ولا يتعدى ما اتخذته في حدسي وتخميني فان الجهات الأمريكية تهددنا بصورة مباشرة وغير مباشرة ، وتحذرنا من العودة إلى إيران . ولقد عرفت بانهم لا يرتاحون لعودتنا هذه .

ومن خلال حدة النظر العميقة تظهر للإمام نقاط الضعف جلية في بنية العدو وأين تكمن ، ومقدار قابلية العدو وموقعه ، وكيف سيسدد إليه الضربة الموجعة المؤثرة وهذه خاصية حباه الله عزّ وجلّ بها وجعلها من الخصائص التي يتمتع بها لمنازلة النظام والإستعمال وكل أعداء الإسلام . .

* * * * *

بصيرة الامام النفاذة

بالاضافة لما يتميز به الإمام من دقة متناهية ونظرة عميقة في كل الأمور ، واجه بها النظام الجائر وتمكن ان ينفذ خلال نقاط الضعف ليسدد إليه الضربات القاضية ، هذه الخصائص كانت الأداة لاكتشاف حقيقة الأشخاص الذين كانوا يقصدون الإمام ومعرفة الغاية التي جاءوا من أجلها .

ولقد سمعت من الأخ الشهيد الحاج مصطفى ، ان الإمام كان يقول : ان أي شخص أواجهه ، بمجرد شروعه بالكلام أدرك ما يريد قبل اتمام حديثه . ولما قامت مجموعة من الشباب الإيراني تنتمي إلى منظمة تطلق على نفسها اسم (مجاهدين خلق) باختطاف طائرة إيرانية من مطار دبي ، هبطت بهم في مطار بغداد ، حضر أحد أفراد هذه المجموعة إلينا وادعى بانه من مجموعة من أهدافها النهوض بأهداف الدين الإسلامي الحنيف ، ومناصرة نهضتكم الإسلامية ، اننا سائرون على طريق الإسلام ، نقرأ القرآن دوماً ، وكذلك نهج البلاغة ، ونبتغي تأييد منظمتنا . فأجابه الإمام : إنّا لا

نستطيع تقديم التأييد لكم ، قبل ان أطلع على هوية منظمتكم ويقتضي لذلك البحث والاطلاع على مدوناتكم وكتبكم ، وقد وعد هذا الشخص ان يحضر ما لديهم منها ، كما خصص الإمام ساعة أو نصف ساعة من وقته يومياً لملاقاته والبحث في مدعاه . شهر مضى وكان هذا الشخص يحضر عندنا ـ كما أوضح الإمام ـ كل يوم ، وقد تكلم كثيراً حول مناهجهم . وخططهم ، وسوابقهم ، وآرائهم الإسلامية ، ونظراتهم الخاصة في المسائل الإسلامية ، والإجتماعية والسياسية ، والأمور المتعلقة بالدولة ، وفي مختلف المسائل الأخرى ، ويضيف الإمام : كان هو يتكلم ، وأنا أنصت له . تكلم عن برامج هذه المنظمة وأفكارها وايديولوجيتها . واطلعت على ما قدمه من كتب ومطبوعات قرأتها فتوصلت إلى حقيقة واضحة ، هي ان هؤلاء من أولئك المنحرفين اليساريين ، الذين يعرفون حق المعرفة ، ان شعباً مثل الشعب الإيراني يدين بالدين الحنيف منذ ألف سنة ، وقد نفذ الدين إلى عروقه وجميع جوارحه ، فان أي حركة تولد في هذا الوسط ولا تستند إلى الإسلام سوف يكون نصيبها الفشل . لذا فأن هؤلاء يريدون من تظاهرهم بالإسلام ، اتخاذه ستاراً يطرحون من ورائه آراءهم ، التي هي الآراء والمعتقدات الالحادية نفسها التي تطرحها الفئات الماركسية والشيوعية الأخرى .

لم يؤيد الإمام هذه الحركة اطلاقاً ، وكان حذراً منها ،

على الـــرغم من محـــاولات مختلف الأطــراف والجـهـــات السيـاسية والـوطنية . ان كـل الضغـوط النـاشئـة عليـه بهـذا الخصـوص لم تستطع ان تغيـر من اراته وتصميمـه شيئاً . ان مواقف الإمام الشجاعة أثبتت انه رجل الساعة ، مـع ان الجو كان في ذلك اليوم في صالح هذه المجمـوعة ، التي تسنمت أوج قـوتها ، وأصبـح يحسب لها حسـابها في السـاحة ، ولا يجـرأ أحد مـا ان يتعرض لهـا بأي انتقـاد لانه كـان سيتعرض لضربة شديدة موجعة .

ان كثيـراً ممن أعرفهم كـانـوا يعتقـدون ان الإمـام قـد انتهى دوره في النضال ، وانه لعدم تأييده (مجاهـدين خلق) وقع على اعلان فشله بيده ، واعتزل الساحة ، فقد كان اليوم هو يوم هذه المنظمـة فقط ولا يوجـد غيرهـا من سيتولى قيـادة الجماهير والسير بالثورة نحو تحقيق النصر ـ هكذا كـان يعتقد هؤلاء ـ في الواقع الذي يقال فان هذه الفئة كانت قـد أوجدت لها موضع قدم بين بعض النـاس ، وكان الإمـام على علم تام بذلك ، وكانت الرسائل تـرده تباعـاً من إيران يقـول بعضها : بـان شعبيـة الإمـام قـد انخفضت بين النـاس ، وان مـواقفـه ونضاله بدأ النسيان يلفها شيئاً فشيئاً . وقد احتـل من يدعـون (مجاهدين خلق) هذه المكانة بين الجمهور .

ولكن الإمـام بقي كالـطود الصامـد لم يفت كـل ذلـك بعضده وقوة إرادته وتصميمه ، ولقـد أثبت للملأ وللعـالم بعد حين ، أي مجمع خطيـر ومنحرف كـان هؤلاء ، حيث أرادوا

الانحراف بخط الثورة عن أهـدافها . كـانوا يـريدون القضـاء على الإسلام قضاءً مبرماً . . .

* * * * *

حركتا « سياهگل » و « المنافقين » كيف دحرهما الامام

لما رأت أمريكا ان الثورة الإسلامية ، ونهضة الإمام لا يمكن القضاء عليهما أو ايقافهما عند حدهما بالرغم من ابعاد الإمام خارج إيـران ، بعيداً عن مـوطن الثورة ، وبـالرغم من أحكام الإعدام والسجن الصادرة بحق الروحـانيين ، واغتيال العلماء الثابتين على مبادئهم الثوريـة أمثال المـرحوم الشهيـد سعيدي ، وانها لن تستطيع التـأثير على هـذه النهضة أبـداً ، وانهـا فشلت في سيـاســة القمـع والإرهــاب والمـلاحقــة والتشـريـد ، سلكت سبيـلاً آخـر يؤدي إلى انحــراف مسيـر النهضة عن خطهـا المستقيم . وفي المرحلة الأولى من هـذه الخـطة دفعت اليساريين إلى الـوسط الإجتمـاعي في حـركـة عـرفت بـاسم (سيـاهگـل) وهي الحـركـة التي تــألفت من مجمـوعة من المـاركسيين والشيوعيين ، ظهـرت إلى الوجـود خلال عام (١٩٧٠م) . وقد تركت هذه الحركة بين الطبقـات المسحـوقـة من الشعب الإيــراني جـاذبيــةً وميـلاً شــديـداً للإنجذاب إليها هذا الشعب الـذي نال من الحـرمان والـظلم والإستبداد كؤوساً مترعةً حتى بلغت فيه القلوب الحناجـر من الفاقة والألم ، والغريق يحاول ان يتمسك بقشة ـ كمـا يقال ـ لذا فقد وجد الناس في هذه الحركة طوق النجـاة الذي ظنـوا

انه يتجه بهم نحو الآمال والأماني المغرية ، دون ادراك منهم إلى مكامن الخطر في عدم اتباع الخط الصحيح السليم المؤدي إلى النهضة الحقيقية . ولكن الإمام الذي كان يرقب عن كثب ما يدور في الساحة من ألاعيب استعمارية خبيثة ، وجه ضربةً قويةً وحاسمةً للإستعمار ، في رسالته المعنونة إلى اتحاد الجامعيين المسلمين في الخارج بما معناه : (لا يخدعنكم الإستعمار بسياسته وأباطيله في البلدان والأقطار الإسلامية ، فهذه الحركة (سياهگل) التي أنشأها في إيران ، والجماعات اليسارية المشابهة لها في تركية التي تسللت إلى معاهد الدراسة فيها قد أحكمت الطوق على جامعاتها وجرتها إلى اعلان الاضرابات عن الدراسة ، ان موجات الحركات اليسارية تطغى وتتوسع في المنطقة . . . .) .

لقد أدرك الإمام بثاقب بصيرته النافذة ، الخطة الإستعمارية المرسومة ، والغاية المبتغاة من وراء دعم هذه الحركات وفي هذا الوقت بالذات فقد بادر سماحته إلى حماية الامة من خطر الإنحراف ، وقد استطاع ان يقود النهضة نحو أهدافها الصحيحة ، ووقاها عن التيه في طريق الضلال .

ان حركة (سياهگل) إذا كانت تستطيع ان تحقق أهدافها في ايجاد الإنحراف في مسيرة النهضة الإيرانية ، فان (منافقي الشعب) في تحركهم ونشاطهم كانوا يريدون

القضاء على الإسلام والمسلمين قضاءً مبرماً . وحاولوا ان يقلبوا مفاهيم النهضة والثورة رأساً على عقب . . لقد طرح المنافقون مناهج وآراء استعمارية مما لو كتب لبعضها النجاح ـ لا سمح الله ـ لما أدركنا ضررها على هذه الامة إلّا بعد مضي خمسين عاماً عليها . وسندرك بعدها أي مقلب كانوا قد هيأوه . وكمثال لذلك ، فان الإستعمار البريطاني استطاع ان يطرح خطة على أثر حوادث (المشروطة) ، لم ندرك آثارها إلّا بعد مرور خمسين سنة فقد فهمنا الآن كيف حرفت الثورة عن خط مسيرها القويم في تلك الأيام ، ولم يكن الشعب آنذاك على علم بما دبر له في الخفاء ، وما كان يراد به . وبرامج (منافقي خلق) مثال آخر لتلك المؤامرات التي أحكم اخراجها الإستعمار لمناهضة الإسلام والثورة ، وكان سعيه يهدف إلى حرف مفاهيم الثورة الإسلامية ، وقلبها رأساً على عقب حتى لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه ، بالقضاء عليه قضاء لا يمكنه بعد ذلك ان يقف على قدميه ويرفع رأسه كرة أخرى خلال نصف قرن من الزمان .

وهذا هو الإمام الذي بادر مرة أخرى وهو في موقع قيادته لهذه الامة ، لمواجهة أعظم الأخطار والعديدة من مؤامرات الإستعمار بحكمة وصلابة ، ثابت الجنان مرفوع الرأس فاستطاع الإستمرار في نهضته وجنب المسلمين والثورة الإسلامية الإنحدار لأية ورطة خطرة صنعها الإستعمار ، وتمكن من ابعاد الامة عن دائرة الخطر بخطة

تاريخية لن تنساها الأجيال الحاضرة والمقبلة أبداً . . . . . .

* * * * *

القدوة في التهجد والعبادة

من الخصائص الأخرى التي امتاز بها الإمام (قدس سره) نظرته العميقة وارتباطه الوثيق بالإسلام . مما ساعد في فوز نهضته المباركة . ففي هذا الوقت ظهرت إلى الوجود بعض التصورات والرؤى التي انحرفت بالحقائق الإسلامية ، وأصبح كل فريق يرى الإسلام وتعاليمه من خلال منظار تصوراته وفكره ، وإلى مدى وبعد محدود ، فبعض يرى الإسلام في العبادة من صلاة وصيام ، يعبد الله بهما وحرام عليه ترك عبادته ، يوجب عليه الدين الالمام بالمسائل الدينية من حلال وحرام وطهارة ونجاسة إلى غير ذلك من الأمور الأخرى التي يحسبها الدين كله . بينما يرى آخرون ان الإسلام يعني السياسة وانه يوجب محاربة الظلم والظالمين . ومما يروى عن الوطنيين الذين يدعون باسم (الجبهة الوطنية) أبان اعتقالهم في السجون ، كانوا لا يؤدون الصلاة ، وعندما ينصحهم الناصح بأداء هذه الفريضة ولِمَ لا يؤدونها ؟ كانوا يقولون : دعونا نعمل في خدمة الوطن فالله لا يريد منا الصلاة ، وأحسن صلاة لنا خدمة أوطاننا . وكان هؤلاء يدعون انهم مسلمون . وفي مقابل ذلك مجموعة أخرى من المسلمين يرون الإسلام في خدمة الشعب ولا عبادة أفضل من خدمة الناس في اعتقادهم . والواقع ان

الإسلام قد احتوى فيما احتواه : الصلاة والسياسة والعبادة وخدمة الناس وكذلك النضال والجهاد ، وبحث في جميع النواحي وعالجها . ولكننا نرى القليل منهم يفهمون الإسلام محتوى ومعنى ، ومن مختلف أوجهه وأبعاده . ومن هذا الوسط رأيت الإمام قائد الثورة الذي امتاز بهذه الخصائص فقد كان على علم ومعرفة بأدق تفاصيل الإسلام ، فقد امتلك من الشروط ما يؤهله لبلوغ القمة في الامور السياسية ، في الوقت الذي لم يكن فيه غافلاً عن المسائل العبادية بل كان يؤديها بمنتهى العمق والدقة . ولم يكن اهتمامه بالمسائل المعنوية والروحانية يمنعه من الإهتمام بالمسائل الإجتماعية والسياسية والعلوم الإسلامية .

ومما يؤثر عن سماحته انه منذ وصوله النجف الأشرف وحتى اليوم الذي هاجر منها ، كان دائم الحضور في حرم الإمام أمير المؤمنين (ع) ، كل ليلة ، لا يغادر الحرم إلّا بعد ثلاث ساعات لا يعيقه من ذلك الشتاء بمناخه البارد ولا الصيف بمناخه الحار ، وكان يلتزم منهجه هذا ، ولم يتركه أبداً ، إلّا خلال أيام الإنقلاب الحادث في العراق وحالت أحكام منع التجول المفروضة دون حضوره في الحرم المطهر حسب العادة ، وقد نقل الأخر الشهيد المرحوم السيد مصطفى فقال : لم أجد والدي مرة في غرفته ، فقلت : أيكون والدي قد ذهب إلى الحرم في هذا الظرف الذي فرض فيه منع التجول ؟ وبحثت عنه هنا وهناك ، إلى ان

عثرت عليه واقفاً بمواجهة قبة الحرم فوق سطح الدار وهو يقرأ الزيارة بتوجه وخشوع . . . .

ونقل لنا أحد الأساتذة بمدينة قم المقدسة انه كان في إحدى الليالي بضيافة الحاج السيد مصطفى قبل سجن الإمام وتبعيده عن إيران ، وكان يسكن ووالده الإمام في دار واحدة ، يقول الأستاذ : انتبهت في منتصف الليل من نومي فزعاً على صوت بكاء ونحيب في جانب من جوانب الدار . وقلت ماذا حدث فلقد أثر فيّ البكاء واستبدت بي الهواجس فهرعت إلى الحاج السيد مصطفى الذي كان نائماً إلى جانبي ، فأيقظته من نومه ليرى ماذا حدث ، فقام وخرج ثم عاد بعد قليل إلى فراشه وقال : والدي مشغول في تهجده وأداء عبادته .

* * * * *

قدوة في التواضع والزهد

ليلة ١٦ فروردين ١٣٤٢هـ . ش . (٥/ نيسان ١٩٦٤م) انتقل الإمام من طهران إلى مدينة قم المقدسة . وما ان وصلنا مدينة قم في نحو الساعة العاشرة حتى هبَّ الأهالي بجموعهم الغفيرة لملاقاة الإمام وبصورة لا توصف من الإزدحام الذي اكتنف المنزل حتى ساعة متأخرة من الليل . وبعد جهد واقناع تفرق الناس إلى منازلهم . ولقد شاهد الذين كانوا في خدمة الإمام والمقيمون في المنزل انه بعد ان استراح فترة لا تتجاوز الساعتين نهض لأداء النوافل

والتهجد ، ولقد أكد لي الأخوة الذين قضوا فترة من حياتهم بمعية الإمام ، انه منذ أكثر من خمسين عاماً والإمام لم يكن يغمض له جفن قبيل بزوغ الفجر .

ذلك أنموذج بسيط يبين لنا توجه سماحته نحو الامور العبادية والمعنوية . هذا بالإضافة إلى انه أحد السياسيين المعتبرين الذي أثبت لنا انه رجل السياسة بكل ما في الكلمة هذه من معنى . اننا نرى في شخصه منتهى الخضوع والخشوع والتبتل ، بعيداً عن الإستكبار والغرور وحب الذات لدرجة تدعو إلى التأمل والإعجاب . وعندما طبع كتابه (تحرير الوسيلة) في النجف الأشرف طبع على غلافه وإلى جانب اسمه عبارة (زعيم الحوزات العلمية) ، ولما كانت عبارة (زعيم الحوزة العلمية) تطلق آنذاك على السيد الخوئي فان الإمام وبعد ان انتشر هذا الكتاب وطالع تلك العبارة على غلاف كتابه لم يرض بها ، فطلب المسؤول عن ذلك وسأله عمن خوله كتابة تلك العبارة ، وأبلغه انه إذا لم تحذف هذه العبارة عن الكتاب ، فسوف ترمى جميع نسخ الكتاب في النهر . مما اضطر القائمين بالطبع إلى اتخاذ ما يلزم لاخفاء العبارة المذكورة ولئلا يظهر شيء منها ، ولا زالت بعض النسخ الموجودة منها شاهدة على ذلك .

اما عن تواضع الإمام وعدم اهتمامه بالمسائل الدنيوية ، ففي مجالس التأبين والفواتح مثلاً التي كانت تقام في النجف الأشرف عند وفاة العلماء والروحانيين ، كان

سماحته ينتظر انتهاء العلماء من الطراز الأول من اقامة مجالس الفاتحة ، ثم الطراز الثاني ، ويأتي دور الطلاب وأفاضل الحوزة ، وبعد انتهاء هؤلاء جميعاً يقيم الإمام مجلس الفاتحة . ولما توفي المرجع المرحوم السيد الحكيم وأقيمت مجالس الفاتحة في النجف الأشرف على روحه الطيبة ، كان مجلس الفاتحة المقام بأمر من الإمام آخر هذه المجالس . ومن الطريف في الأمر ان يتم الإعلان عن ذلك بسماعات المآذن في الحرم المطهر . بان السيد الخميني يقيم مجلس الفاتحة بهذه المناسبة بتحديد الزمان والمكان لتنبيه الجمهور إلى ذلك ، وقد قرأ المعلن اسم الإمام مجرداً عن عبارات التعظيم والإحترام مما حدا بالسامعين إلى ان يهاجموه وكادوا ان يشبعوه ضرباً ، فقد حسبوه متقصداً في الحط من منزلة الإمام ، لولا افصاحه بان ذلك لم يكن عن تقصير منه وانما كان حسب ايعاز صادر من لدن الإمام بان أقول ما قلت ولا أزيد على ذلك حرفاً واحداً .

ان أحد الروحانيين جاء إلى النجف الأشرف بعد وفاة المرحوم السيد الحكيم ، وقال للإمام بان شخصاً من علماء طهران حملني لكم رسالة شفهية يقول فيها : ان عدم اهتمامك ببعض رجال الدين والجهات الروحانية جعل الكثير من الروحانيين يوجهون الناس إلى تقليد غيركم في أمور المرجعية بعد وفاة المرجع السيد الحكيم ، وكان المقصود من ذلك تنبيه الإمام إلى هذه الناحية . فأجابه الإمام : بلِّغ

سـلامي لهذا السيـد وقل لـه : كلما أبعـدتم الناس عني فـإنّ ذلـك سيـريحني أكثـر ، وستكـون واجبـاتي ومسؤوليتي أقـل وأسهـل . من ذلك كله نـرى في هذا الشخص الـذي يعـطي الأهمية كلها للأمور العبادية والمعنوية ، يبرز في المسائـل ، والقضـايا السيـاسية ، ويكـون حاذقـاً في الأمور الإجتمـاعيـة والإدارية يتعامل معها ويتصرف بها بحكمـة بالغـة وببعد نـظر حاد ، مما لـم نجد له نداً إلّا بين القلة القليلة من أمثاله ، لذا فقد كان رجل السياسة الماهر العابد المتواضـع ، سلك سبل العرفان فعزف عن الدنيا ومغرياتها .

* * * * *

قدوة في تركيز الذهن

كمـا قلت سابقـاً ، بصـدد الحـديث عن سيـرة الإمـام (قـدس سـره) ، ان من الخصـائص التي امتـاز بهـا رؤيتـه الإسلام من جميع أبعاده وجوانبه ، يحيط به علمـاً ومعرفـةً ، ويقـارن العلم بالعمـل ، وضع العمـل المنـاسب في مكـانـه المناسب . فالعبادة في محلها والسياسة في محلها ، ولجميع المسائل الأخرى ، الإجتماعية والأخلاقية والسياسية ، مكانها المنـاسب . وهكـذا كـان في نـظرتـه إلى جميـع القضـايـا الإسلامية نظرة جد ودراسة وبحث وتمحيص .

ومن خـلال وجـودي مـع الإمـام في النجف الأشــرف مدة (١١) سنة ، لـم يحدث خلال هذه الفترة من الزمن ، بما تضمنته من حوادث وقضايا سياسية كبيرة ، ان تعيق الإمام من

المضي في منهج الحوزة ودراسة الفقه الإسلامي أو ان تؤثر عليه في مواظبته وسعيه في هذا المجال أو تأثير . فلقد كنت والكثير من طلابه لا نحضر دروسه في مثل تلك الحوادث والوقائع ، أو نحضرها ولكن بشعور من عدم المبالاة والأهمية اللازمة لاستيعاب تلك الدروس ولكن الإمام وفي أدق اللحظات ومهما عظمت الحوادث والقضايا الطارئة ، لا يعير هذه الأمور أدنى اهتمام ، يجلس على كرسي التدريس يدرس الفقه ويشرح ويفصل المواضيع بتحقيق واسع ، وبحث علمي مستفيض ، وكأن لم يحدث أي شيء سواء له أو للآخرين . ومن ذلك يتبين لنا مدى اهتمامه بالفقه الإسلامي .

من ذلك ، مثلاً اليوم الذي قام فيه نظام الحكم البعثي المعادي للإسلام في العراق بالقاء القبض على نجل الإمام الأكبر العلاّمة الشهيد المرحوم الحاج مصطفى « أعلى الله مقامه » وسيره إلى بغداد إذ لم يتغير منهج الدراسة في مدرسة الإمام ولم يطرأ عليه أقل تغيير ، بل نستطيع القول بان الدرس كان أعمق وأوسع في مختلف المباحث العلمية المطروحة آنذاك .

وفي أعقاب استشهاد المرحوم الشهيد سيد مصطفى ، التي حدثت بصورة غير متوقعة ، وكانت نازلة ما مثلها نازلة على أصدقائه وأحبائه ، وبالرغم من فداحة المصيبة ، فقد كان الإمام كالجبل لا تحركه العواصف ولا تهز كيانه

الأحـداث ، وقد أذهـل الآخرين ، حينمـا اعترض سمـاحتـه على زعماء وعلماء الحوزة لتعطيلهم الدراسة بهـذه المناسبـة المؤلمة ، وطلب إليهم عدم التعطيل .

قلنا ان الإمام لم يمنعه من أداء وظائفـه ومسؤولياتـه أي حادث أو واقعة ، فعنـدما يجلس على كـرسي الدرس ويقـوم بـالتدريس لا تحس بـان شيئاً قـد حـدث وكـأن لم يكن شيئـاً مذكوراً .

ان الإمام بسبب اهتمامـه الكثير بـالحوزات العلميـة ، والـدراسـة وبحث العلوم الإسـلاميـة لم يكن مستعـداً بسبب استشهاد ولده وفلذة كبده ، ان يعطل الحـوزة العلمية أبـداً ، كمـا لم يمنعـه أداء وظيفتـه في الحـوزة من أداء مسؤوليـاتـه الأخـرى ، كما لم يبخـل على الحوزة بعلمـه وفكره وجهـوده مهمـا كـانت الـظروف والأحـوال ، وسيبقى القـدوة والمنـار ليقتبس منه أولئك الذين تمنعهم مسؤولياتهم من أداء وظائفهم الـدينيـة ، انهم يمتنعـون عن أدائهـا بحجـة الحفـاظ على الحوزات وبأنهم إذا سلكوا طريق الجهاد فستصاب الحوزات بضربة شديدة قاصمة وسيحـرم الطلاب على أثـرها من نعمـة الدرس والتحصيل العلمي .

* * * * *

قدوة للعابدين العاملين

تطرقنا فيما سبق إلى اهتمام الإمام بالمسائل العبادية والمعنوية وأوردنا طرفاً من الحوادث والوقائع المؤيدة لتلك الجوانب ، ولقد ذكرنا الأهمية البالغة التي كان يوليها للعبادة والتهذيب وتربية النفس . ولا تخفى على أحد منا المصاعب والمشاكل التي واجهها في سبيل التهذيب وتربية النفس . ان اهتمام الإمام بالأمور العبادية والأمور المعنوية والتربية والأخلاق لم يكن معناه الإلتجاء إلى الخلوة في إحدى الزوايا ، والإنقطاع لتلاوة الذكر والورد ونسيان كل شيء ، كما يظن بعضهم من ان الإتصال بالله ودوام ذكره لا يتم إلّا عن طريق تلاوة الورد والذكر والتسبيح . لذا فقد كان الإمام يتبع نهجاً آخر يختص به نفسه ، فان الكثير من الذين عايشوا الإمام كانوا على مقربة من وبما أوتوا من فراسة وتمييز كانوا يقولون : ان الإمام كان (دائم الذكر) وان قلبه ينبض بذكر الله دائماً وبغاية الإطمئنان **﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** حتى ولو كانت يداه خاليتين من المسبحة ، أو ان شفتيه لا تتحركان بالذكر اطلاقاً .

ففي خلال السنوات الطويلة التي قضيتها مع الإمام في النجف الأشرف ، وفي أثناء الزيارات العامة والمجتمع المنعقد في كل ليلة ، كان يعم المجلس هدوء نسبي قد يتجاوز مداه نصف ساعة أو أكثر ، لم أكن أشاهد الإمام خلالها مشغولاً بتلاوة ذكر وتسبيح ، إذ لم تكن شفتاه

تتحركان أبداً ، غير ان كثيراً من الأفراد المتدينين الذين قضوا زمناً ليس بالقليل وهم على مقربة من الإمام يؤكدون بانـه كان لا يسهـو عن ذكر الله ، فهـو يلهج بـالحمد والثنـاء والشكر لله الخـالق الواحـد الأحد ، لـذا فان ذكـر الله سبحـانـه وتعـالى وتمجيـده ليس باستعمـال المسبحة فقط ، وبتحـريك الشفـاه بزمزمة وانفعال ورياء بمثل ما ابتلي به العـوام المخدوعـون . وان الإمـام بالـرغم من انشغالـه بذكـر الله فانـه يكره التـظاهر بذلك وهـذه خاصيـة اختص بها . ومن هـذه السيرة نـرى انه بالرغم من توجهه واهتمامه بالزيـارة والعبادة والـدعاء فـانه لم يكن ينسى الكثيـر من الأشيـاء الأخـرى ، فلم يتخـل عن الإحساس بمسؤوليته في معالجة مشاكل الناس ورفع المظالم عنهم وتقـديم الخدمـات لهم . ومن الخصائص التي اختص بها الإمام ، فانه بالرغم من توجهه واهتمامه بالدعـاء والزيـارة فـانه لم يـدع معالجـة الأمـور الإجتمـاعيـة ، والسعي لـرفـع المـظالم عن العبـاد وتقـديم مختلف الخـدمـات للمعـوزين والمحرومين ، جانباً . انه لم يدر بخلده يوماً ، انه لـو انشغل بالدعاء والزيارة عند مرقد الإمام المطهر ، ومما يلي الرأس ، وبيده كتاب المفاتيح يجأر بالـدعاء والـزيارة ينسى الكثيـر من الأشيـاء ولا يحس بأيـة مسؤولية ، ويحمـل الآخـرين انجـاز أعمـالـه الشخصيـة ، يلقي بـأمـور معيشتـه عبئاً على عـاتق الآخـرين ويغبط نفسه بـانه من أهـل الصلاح والتقـوى ، لانه حليف المسبحة بيد وفي الأخـرى المفاتيـح ، ألف المشاهـد

المشرفة والمساجد والمعابد معتكفاً لا يهمه إلاّ الذكر والـورد والدعاء .

ان الإمـام وخلال مـدة وجـوده في النجف الأشـرف ، التي لا تقل عن الخمسة عشر عاماً ، كان يقـوم بزيـارة الحرم المـطهـر في كـل ليلة وبصـورة مستمـرة ، عـدا في بعض الاستثناءات الطارئـة ، عندمـا كانت تعلن الأحكـام العرفيـة ويفرض نظام منع التجول في الأنحـاء كافـة عند ذلـك يرتقي الإمام سطح الدار ويتوجه إلى المرقـد المقدس ويتلو الـزيارة والدعاء .

الامام والتواضع ونكران الذات

نقل لنا أحد العلماء ، قال : لقد استقـر رأي الإمام في إحدى السنين الماضيـة وكان الفصـل صيفاً ، على ان نسـافر معاً مع بعض من رجـال الدين إلى مـدينة مشهـد المشرفـة ، فاستأجـرنا هنـاك داراً للإقـامة ، ولقـد وضعنا بـرنامجـاً نسير بمقتضاه ، يبدأ بالراحة لمدة ساعتين لقيلولة مـا بعد الـظهر ، ننهض بعدها من النـوم فنتوجـه مجموعنـا إلى الحرم المـطهر وبعد أداء مراسيم الزيارة والصلاة والدعـاء نعود إلى الـدار ، ونجلس في ايوان الدار لتناول الشاي . ولكن الإمـام (قدس سره) طرح برنامجـاً آخر . تضمن ان تكـون مراسيم الـزيارة والدعاء مختصرة ثم يعود الإمـام وحده إلى البيت حيث يقـوم برش الساحـة بالمـاء ، ومن ثم فرشهـا وتهيئة السمـاور وعدة الشـاي حيث يجهـز كـل شيء ليعـود الجمـع بعـد ذلـك

للإستراحة وتناول الشاي . وسألت سماحته : كيف تفسر ذلك ؟ تختصر الزيارة والدعاء لتعود إلى البيت في سبيل اعداد الشاي لنا ؟ فتفضل سماحته قائلاً : أنا أرى ان ثواب هذا العمل لا يقل عن ثواب الزيارة والدعاء .

قد يتخذ بعضهم من هذا السلوك مستمسكاً فيتوجه لخدمة المجتمع ، فلا عبادة أفضل من خدمة الناس ، فليست العبادة في سجادة ومسبحة ودعاء . ولكن نقول لهؤلاء يجب ان يتدبروا قول الإمام ويتفهموه ، فلقد قال : ان ثواب الماء والتنظيف واعداد الشاي لرفقاء السفر لا يقل عن ثواب الدعاء والزيارة . وقد قلنا ـ فيما سبق ـ ان الإمام خلال مدة اقامته في النجف الأشرف لم يكن يتأخر عن زيارة الحرم المطهر كل ليلة إلاّ في الحالات الاستثنائية . كما كان يزور ضريح الإمام الحسين (ع) في أغلب أيام زيارته . وفي عشرة عاشوراء يواظب على تلاوة زيارة عاشوراء المعروفة بما فيها من سلام يكرره مائة مرة ، ولعن الظالمين لمحمد وآل محمد عليهم السلام مائة مرة . ولم يصادف ان طلع عليه الفجر الصادق وهو نائم منذ خمسين سنة ، فكم كان يهتم بالتهجد وقيام الليل . كان يصوم شهر رمضان في النجف الأشرف في ذلك المناخ الذي لم يألفه ودرجات الحرارة تشير إلى الخمسين ، وفترة الصيام تمتد إلى ١٨ ساعة يومياً ، لا يتناول الفطور إلاّ بعد أداء صلاة المغرب والعشاء والتعقيب بالنوافل وهو بهذه السن . هذا هو الإمام ، وهذه سيرته ومنهجه ،

وعنـدما وصله نبـأ اقدام النـظام البعثي الفاشي في العـراق ، على اعـدام نخبة رسـالية مؤمنـة ، منهم المرحـوم القبـانجي والبصري ورفاقهما الآخرون ظلماً وعدواناً ، والشمس تنحدر نحـو الغـروب من ذلــك اليـوم ، لم يقم صــلاة الجمـاعــة واستدعى قائمقام النجف والمسؤولين الآخرين ، للعمل على انقاذ هذه النخبة المسلمة من هذا المصير المؤلم .

في الحقيقة ان الخط الذي انتهجه الإمام كان محفوفـاً بالمصاعب والمشاكل ولا يمكن لأي فرد سلوكه .

ان المصـائب التي أصـابت المجتمـع الإسـلامي من جـراء الإفـراط أو التفـريط ، فبعضهم يفكـر ولكن فكــره لم يتجـاوز الـدعـاء وكتـاب (مفـاتيـح الجنـان) ولم يـدرك من الإسلام غير هـذا . يقابـل هؤلاء في الجانب الآخـر أفراد من أمثال الدكتور علي شريعتي ، الذي كان في الأسـاس لا يقيم وزناً لكتاب المفاتيح والدعاء بالإضافة إلى ذلك فانه كان ينظر إلى الإســلام من جـوانب أخــرى ، ولا يخفى ان الــطرفين المـذكورين كـانا على اشتبـاه أكيـد وانهمـا بعيـدان عن خط الإسلام والإمام .

* * * * *

الامام نموذج في التقوى والورع

قـال الإمـام الصـادق (ع) (كـونـوا دعـاة للنـاس بغيـر ألسنتكم ليـروا منكم الورع والإجتهـاد والصلاح والخيـر فـان

ذلك داعية . . .) . لقد نبّه الإمام الصادق (ع) الامة بقوله هذا بان الهداية إلى سبل الصلاح والخير لا تتم إلاّ عن طريق الإرشاد بالأقوال وبالأفعال ، فالإنسان المهذب الجيد في ورعه وتقواه يكون مثالاً حياً وأنموذجاً بارزاً للآخرين في السير نحو سبل الهداية والرشاد ومن الواقع المؤكد ان الإنسان المهذب والذي بذل من الجهد والمصاعب الشيء الكثير حتى تسنى له السيطرة على نفسه فأحسن تربيتها وقيادها ، سيكون في أعماله وأفعاله دليل هداية وارشاد إلى الناس الآخرين .

ومن الحقائق التي ينطبق عليها هذا القول ما لاحظته في سيرة الإمام الخميني (قدس سره) فلقد كان المثال البارز بين من يتحلى بهذه الصفات ، فلقد كان في حركاته وسكناته وأعماله وأفعاله مثالاً رائعاً للهداية والإرشاد ، ولقد كانت لي في هذا الجانب خواطر وذكريات عن أعمال الإمام ، ما أزال أتذكرها ومنها : ـ

١ ـ في أحد الأيام ونحن في النجف الأشرف ، عزم الإمام على الخروج لأداء صلاة الجماعة ، إذ وصل إلى باب غرفة الإستقبال رأى أحذية القوم قد تكدست بعض فوق بعض فلم يعد له ولغيره إلاّ ان يطأها برجله ، فلم نجد بداً من السير فوق أحذية الناس المفروشة على الأرض اما الإمام فقد توقف برهة ، وامتنع من ان يطأ الأحذية ، بل أمر بجمعها وتنحيتها عن الطريق لكي يفسح المجال للسير وعدم الإضرار

بها . مما ذكرنا بان ذلك لا يخلو من اشكال واضرار هو بمثابة التصرف والاضرار بأموال الغير .

اننا لم نكن نولي مثل هذه الامور أهمية كبرى ، بل كنا غالباً ما نطمئن أنفسنا أو نبرر مثل هذه التجاوزات : (بان أصحاب الأحذية سيرضون عنا ويتجاوزون عنها ان شاء الله) ، ولكن الإمام في موقفه هذا كان أدق وأعمق في التفكير منا ، إذ كان يحسب للعقبات والمكافأت في يوم القيامة حساباً **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** .

٢ ـ كان الإمام قبل شروع الثورة الإسلامية ، إذا ما حضر مجلساً ، يجلس في مكان خال ، وغالباً ما كان يجلس عند الباب حيث الناس المستضعفون والكسبة ، خلافاً لما كان عليه الآخرون الذين يستطيبون الجلوس على الكراسي أو يختارون صدر المجلس حتى ولو كانت أماكن اختيارهم تضيق بالجالسين فيزيدهم ضيقاً على ضيق ممَّا يدعو إلى الضغط والاختناق وأذى الآخرين ، لذا فمن الطبيعي ان يتهرب الإمام من الجلوس على الكراسي دائماً وأبداً .

٣ ـ كان الإمام ينفرد لوحده في تجواله وزياراته . وينقل لنا السيد صانعي : انه في يوم من الأيام والإمام كان يومذاك في مدينة قم وقد أراد ان يذهب لزيارة أحد العلماء ولكنه كان يجهل عنوانه ، فطلب مني تزويده بعنوانه فعرضت

عليه ان أسير معه لأدله عليـه فأبى ولقـد أصررت كثيـراً ولكنه أبى ولم يقبل .

*****

في التواضع وتجنب المظاهر

وخاطرة أخرى لنا في النجف الأشرف ، كلما تذكرتهـا استغرقت في الضحك ، فبعـد انتهاء الإمـام من درسه الـذي كـان يلقيـه في مسجـد الشيـخ الأنصـاري ، علم الأصـدقـاء والأخوة بأن الإمام عازم على زيارة المرحـوم العلاّمـة الأميني لعيادته في مرضه ، وفعـلاً بفقد تبعـه جمع من الاخـوان ولما وصل الإمام إلى منزل العلاّمة وقف للاستئذان عليه ، والتفت فـرأى خلفـه جمعـاً غفيـراً ، ولـم يـرغب ان يـردهم ، وكـان المنـزل المذكـور يحتوي على بـاب رئيس يؤدي إلى ممـرين أحـدهما يؤدي إلى الـديوان والآخـر يؤدي إلى الحـرم وكـان الباب الخارجي مواربـاً (نصف مفتوح) وبحركة سريعة دخل الإمـام إلى الممر وأغلق البـاب وراءه ومن هنـاك طلب الإذن للدخول على العلاّمة رحمه الله .

لقد ترك الإمـام الجمع أمـام أمر واقـع أوضح لهم فيـه استنكاره وعدم موافقته على متـابعته في مقصـده الذي تـوجه إليه مما يؤكد لهم انه كان مضطراً لهذا السلوك الذي سلكه .

عـاد الحجاج الإيـرانيـون في سنـة ١٣٤٨ (١٩٦٩م) بعد أداء فريضة الحج بعد ان منح الكثير منهم سمة الـدخول

لى الأراضي العـراقية ، فقـد قصد عشـرة آلاف زائر إيـراني زيارة العتبات المقدسة . . وقـد شهدت مـدرسة البـروجردي في النجف الأشرف حضور جمـع غفير من أولئـك الزوار في صـلاة الجماعـة التي كان يقيمهـا سماحـة الإمـام ، وكـانت الغالبية منهم تـرغب في السير في ركـاب الإمام تهتف وتـردد الصـلاة والسلام على محمـد وآله الأطهـار بعـد الإنتهـاء من مراسيم الصلاة حتى إيصاله إلى مقر سكناه ولكن الإمـام كان في كـل ليلة وبعـد ان ينتهي من أداء الفـريضتين ، وقبيـل مغادرته المدرسة ، يأمر من يبلغ الحاضرين جميعـاً بانـه ليس لأحد الحق ان يخرج معه من المدرسة مباشرة ، فلذلك كـان الـزوار يمكثون في أمـاكنهم حتى إذا مـا ابتعـد الإمـام عنهم تفرقوا زرافات ووحداناً . . .

كان الإمام يحذر الزوار الإيرانيين من متابعتـه في سيره أينما سار مع صعوبة حياة الوحدة وعدم وجود المسـاعد ، في مـواجهة النـظام العراقي الـظالم الذي كـان يسعى جاهـداً ان يجعـل الإمام قـابعاً في زاويـة ضيقة من زوايـا مدينـة النجف منعزلاً عن الناس .

ولربما كانت حركة الإيرانيين في السيـر خلف الإمام ، مع ما في ذلك من ابراز لتلك المشاعر والإحساسات العميقـة التي لها أبعد الأثر في نفوس أولئك النفر المعـادي مما يعتبـر ضـرورياً ولازمـاً له في تلك الـظروف ، ولكن الإمـام الـذي توجهه واتصاله بخالقه العظيم لم يكن يرى غيـره سنداً يتكـل

عليـه ، ولـم يكن يشعر مـطلقاً بـانـه وحيـد وليس لـه معين ، فلذلـك لـم يكن محتاجـاً أبداً لتبيـان ما لـديـه من القـدرة من خلال تجمع الزوار حوله والسير وراءه أينما سار .

كـان الإمام لا يـرضى ان يقوم أحـد بدفـع النـاس عن طريقه في الإزدحـام ، فقد شـاهدتـه مرة في الحـرم المطهـر بـالنجف الأشرف في غمـرة من الإزدحـام الشـديـد وقـد بلغ الضغط لدرجة يصعب فيها على أمثالـه من الشيوع ان يشقـوا طريقهم دون ان يصيبهم من جراء ذلك أذى ومكروه ، خاصة وان الكثيـر من أبناء القـرى والأرياف الـزوار الـذين يشـدهم الشوق للإندفاع نحو الضريح أو التمسك بـه كانـوا لا يبالـون بتحـركهم وسلوكهم ، وغالبـاً ما كـانـوا يصـطدمـون بـه غيـر مبالين . . .

* * * * *

سعادة الامام بالاختلاط بزوار الائمة (ع)

كان الإمام سعيداً بتحمل جميع الضغوط والمعاناة التي يلاقيها في المشاهد المشرفة ولكنه كان لا يتحمل أبداً تـطوع الآخرين في دفع الناس والزائرين لفسح الطريق أمامه .

ولقد شاهـد السيد علي الشـاهرودي ابن المـرحوم آيـة الله الشاهرودي (أعلى الله مقـامه) الإمـام يومـاً في غمرة من الإزدحـام الشديـد في حرم أميـر المؤمنين (ع) فتعلقت عينـاه بالإمام وهو بين أمواج من الكتل البشرية وخشى عليه من خطر

الـوقوع تحت أرجـل الناس فجـاء إلى الـرجلين اللذين كـانـا يسيران بمعية الإمام ، وأنكر عليهما عدم ازاحة الناس عنـه ، وقـال لهما بحـدة بالغـة : أتنتـظران من الإمـام ان يفتـح لكم الطريق ليسهل عبوركما بين هذا الحشد الهـائل من النـاس ؟ فيقولان له لا نجرأ على مخالفـة الإمام لانـه لا يرتضي لنـا ان نكف النـاس عن طـريقـه بـأي حـال من الأحـوال . ويستبـد الغضب بالسيد علي ويخلع عباءته ويكورها على يديه ويتقدم بعصبية ليفتتح الطريق من أمامه بالصلوات والسـلام فما كـان من الإمـام إلّا ان يـربت بيـده على كتفـه ويمنعـه من ذلـك . ونقل الأخر الفقيد المرحوم السيد املائي انه كـان في يوم من الأيام في زيارة حرم سيد الشهداء الحسين (ع) فشاهـد الإمام الخميني (قدس سره) في وسط موجة من الإزدحـام الشديـد وهو لا يستطيع ان يقدم رجـلاً أو يؤخر أخـرى ، فما كـان منه إلّا ان أسـرع ناحيتـه يكف النـاس عن طـريقـه ، ولكن تغيـر ملامح الإمام دلته على عدم رضاه عما قام به ، ومع ذلك فقد واصل كف الناس عنه وفتح الطريق أمامه ، وبغتة يغيـر الإمام خط سيره ولا يرضى بالطريق الذي هيأه له بل يحشر نفسه في غمـرة الإزدحام كـرة أخرى ليسلك طـريقاً آخـر يـرتضيـه هـو لنفسه .

لقد دأب التلفزيون على عرض صور الإمام في حركاته وسكناته بين جموع الشعب الغفيرة في إيـران الإسلام وذلـك في مســاء كل يـوم وقبل الشـروع في سرد الأخبـار . ولو كنـا

ندقق النظر ملياً في هذه الصور لكنا نرى جلياً كيف ان الإمام كان قد اعترض على أحد أفراد حرس الثورة الإسلامية وبعصبية بالغة ، حينما أراد ان يزيح الناس عن طريقه ناهيك عن النظرة الحادة الصارمة التي واجهه بها .

* * * * *

الامام في الاعتماد على النفس والجلد

ومما أحفظه في ذاكرتي : ان الإمام كان مقيداً وبحسب استطاعته ، بعدم القاء أعباء أعماله على الآخرين لاتمامها ، بل انه كان يقوم بأداء أعماله بنفسه . ففي النجف الأشرف وفي أمسيات فصل الصيف والإمام مستلق في فراشه فوق سطح الدار ينتبه إلى ان أحد المصابيح في المطبخ أو المرافق الأخرى الكائنة في الطابق السفلي من الدار قد ترك مضاء ، فلا يكلف أحداً من أفراد عائلته أو غيرهم من الموجودين إلى جانبه على سطح الدار للنزول إلى الطابق الأرضي لاطفاء ذلك المصباح مطلقاً بل لا يشعر الآخرين بانه قد آلى على نفسه ان يقطع مسافة ثلاث طبقات في وسط ظلام دامس لأجل ان يطفيء المصباح ، ويعود أدراجه من حيث اتي كرة أخرى . وهكذا إذا احتاج إلى قلم أو قرطاس مما هو موجود لديه في الطابق الثاني فانه لم يكن يكلف أحداً لجلبهما إليه حتى أعز الناس إليه . أبناء الشهيد المرحوم الحاج السيد مصطفى ، فانه كان لا يكلفهم بذلك بل انه يرقى السلم نحو الطابق الثاني ويجلب بنفسه ما يريد ويعود

إلى مكانه مطمئناً مرتاحاً .

* لقد اتخذ الإمام حياة البساطة ، البساطة في كل شيء ، في ملبسه ، وفي غذائه ، كان يتحاشى تناول السمن والدسم ، ويبتعد عن تعاطي الأغذية المقوية ، وكان في النجف الأشرف أجود وجباته الغذائية المفضلة الخبز والجبن ولب الجوز فقط .

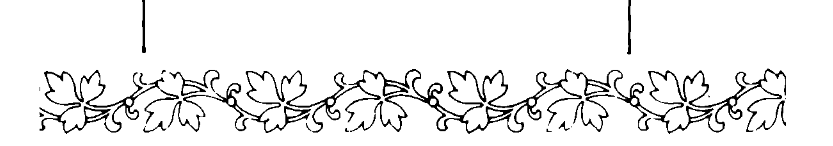
وكذلك فانه كان يفضل السير راجلاً في تنقلاته ، وبالرغم من الحاح أصدقائه ومحبيه الشديد واصرارهم على استعمال السيارة في ذهابه وايابه فانه كان يمتنع عن ذلك ، هذا في الوقت الذي كان الكثير من السائرين على نهج الإمام في الكويت وفي أماكن أخرى على استعداد تام لاهدائه سيارة لا تكون تكاليفها من (الحقوق الشرعية) .

* عاش الإمام في محيط النجف الأشرف مدة خمس عشر سنة ، وبالرغم من اشتداد درجات الحرارة التي قد تتجاوز الـ (٥٠) درجة ، فلم يدر بخلده يوماً ان يقصد الكوفة لاستئجار منزل فيها هرباً من حرارة النجف ، شأنه في ذلك شأن الغالبية العظمى من سكان النجف ، وبالرغم من شدة الحرارة لم يصادف مدة بقائه هناك ان قضى ليلة واحدة في مدينة الكوفة أبداً .

* وهذه خصيصة أخرى من خصائص الإمام ، وهي الثبات أمام الشدائد والمصائب فلقد كان المعلم ، والملهم

في هـذا المجـال . فـالإمـام على الـرغم من قـوة عـواطفـه واحساساته وحنانه فانه كان يقف بحزم وقوة وبصـلابة الجبـل الشامخ في مواجهة المصائب والويـلات . فكان لأمتـه وأبناء شعبه نموذجاً ودرساً يعلمهم الكثير في مواضيع الصبر والثبات والإستقامة والتحمل والصمود .

ان المصيبـة المبـاغتـة التي آلمت بـالأمـة بـاستشهـاد المجاهد المرحوم الحاج السيد مصطفى الخميني (أعلى الله مقـامـه) لم تكن بـالحـدث الهين البسيط ، فلقـد كـانت كالصاعقة التي انهدت على رؤوس ذويه ومعارفه وأصدقائه ، فقـد كان الشهيـد المرحـوم مجتهداً عـادلاً ، متعهداً ومهـذباً وكان قد تـربى على يدي الإمـام نفسه ، ولقـد تحمل الإمـام القائد الكثير من الصعاب والأتعاب في سبيل اعداده وتربيته ، وكان يؤمل فيه آمالاً بعيدةً وبالـرغم من كل ذلـك فانـه عندمـا وصله نبأ فقدانه أبدى من الهدوء وتماسـك الأعصاب مـا أعاد لكل المحيطين به صورة أخرى من صبر النبي أيوب (ع) .



الامام قدوة

بقلم

حجّة الإسلام

فردوسي بور

استعداد الامام للعودة الى أرض الوطن

١ ـ أعظم هدية :

لقد أوجدت هجرة الإمام إلى باريس تحولاً عظيماً حيث غيرت بشكل تام جميع المفاهيم والإستنتاجات التي كانت لدى الغربيين عن الإسلام والتي كانت تجعلهم يستهزئون بالمسلمين ، وقد بلغ تأثير أخلاق الإمام وسلوكه في الحياة حداً جعل أحد العلماء يقول : اننا لو أنفقنا ميزانية الحوزات العلمية لسنة كاملة في تربية المبلغين وتأليف الكتب وترجمتها وارسالها إلى أوروبا لم نستطع تعريف الإسلام إلى العالم بالقدر الذي فعلته اقامة الإمام أربعة أشهر في باريس لقد كان سكان باريس يطالبون الإذاعة والتلفزيون ان تبين لهم ماهية هذا الإسلام الذي يقيم قائده في (نوفل لوشاتو) ويحرك ببيان واحد ستة وثلاثين مليون من الشعب الإيراني ولم يكن لدينا ـ مع الأسف ـ فلما يعرف الإسلام الحقيقي . فاضطر التلفزيون الفرنسي ان يعرض كل ليلة ـ ولمدة ربع ساعة ـ فلم (محمد رسول الله) بدون صوت وان

يعرض كل ليلة صورة الإمام في بـداية نشـرة الأخبار وكـذلك الأخبار التي كانت تتعلق بسماحته . وكلما سرنـا في طريق أو شـارع معين كان النـاس ينظرون إلينـا نـظرة عـاطفيـة ملؤهـا العـطف والأدب ، وحينما كـان الإمام يخـرج لاقامـة الصلاة كان الجيران يتجمهرون لمشاهدة هذا الوجه النوراني والقائـد الـرباني ويـظهرون مشـاعرهم الحـارة والنبيلة . وشيئاً فشيئـاً بـدأت اقامـة الإمام تقتـرب من نهايتهـا وحان مـوعد الهجـرة المباركة ، وعند غروب الشمس وحينمـا بدأ ضيـاؤها ينحسـر تـدريجياً عن أرض بـاريس رأيت فتاتين فـرنسيتين أمام الـدار التي كان يقيم فيها الإمام وهما تطلبان مقابلة الإمام وحيث لـم يكن ذلك ممكناً اعتذرت منهما فقالتا ـ وفي يد إحداهما قنينة زجاجية صغيرة تحوي كمية من التراب وقد أحكم غطاؤهـا ان لم يكن بـالامكان لقـاء الإمام فـان من عاداتنـا اننا إذا تعلقنـا كثيراً بأحد وحان وقت فراقنا له فان أفضل هدية نقدمها له عند توديعه كمية من تراب وطننا وهو أعز ما لـدينا فـأخذت القنينـة وذهبت بها إلى الإمام لأنهما طلبتا مني ذلـك وطلبتا أيضـاً ان أجلب لهمـا صورتين تحمـلان توقيـع الإمام ، فتقبـل الإمـام القنينـة بابتسـامة جميلة ووقـع على الصـورتين ثم أعـطيتهمـا للفرنسيتين ففرحتا بالصورتين وشكرتاني على ذلك .

٢ ـ هل ينتظرون وصول كورش إلى إيران ؟

كان قد مضى على فـراق الإمام للشعب الإيـراني أكثر من خمسة عشر عـاماً وكـانوا في أشـد الشوق والحنين لـرؤية

إمامهم وقائدهم وكان من البديهي ان خبر وصول الإمام سوف يكون ذا صدى واسع بين أبناء الشعب الإيراني الذي كان يردد : أيها الإمام عندما تصل فسوف نفرش لك الطريق من طهران إلى قم بالسجاد وسوف نحمل سيارتك بأيدينا وعلى أكتافنا و . . . .

وفي تلك الأيام التي أعدت فيها خطة حركة الإمام من باريس ووصوله إلى طهران نظمت (لجنة الإستقبال) منهج استقبال الإمام بشكل عظيم يليق بسماحته .

وفي اليوم الذي اتصلت بنا لجنة الإستقبال تلفونياً من طهران كنت أنا مسؤول المكتب والتلفون وكان المتحدث من طهران الشهيد المظلوم آية الله الدكتور بهشتي فقال : لقد قمنا بتنظيم برنامج لاستقبال الإمام ، ولكي يعرف الإمام ذلك أخبره بما يلي : سنفرش المطار ونزينه بالمصابيح وسنأخذه من المطار إلى (بهشت زهراء) بالهليكوبتر ، وقد أكد آية الله المنتظري على هذا الموضوع مرة أخرى فذهبت إلى الإمام وأخبرته بذلك وبعد ان أصغى إليَّ بدقة كعادته حيث يصغي للمقابل بدقة ثم يجيب بكل صراحة وحسم ـ وهما شرطان من شروط القائد ـ رفع رأسه قائلاً : اذهب وقل لهؤلاء السادة هل تريدون استقبال كورش في إيران ، لا حاجة لهذه الأعمال أبداً فان أحد الطلبة كان قد خرج من إيران وهو يعود إليها الآن ، إني أريد ان أكون بين أبناء أمتي ولو سقطت بين الأقدام .

من باريس الى طهران

منذ وصول الإمام إلى باريس والشرطة الفرنسية تراقب الأوضاع لحراسة الإمام وخاصة بعد ان أقام في (نوفل لوشاتو) وبالأخص يوم أعلن الإمام انه سيغادر إلى إيران ليكون بين أبناء شعبه وليصيبه ما يصيبهم .

في الليلة التي تحرك الإمام في صبيحتها من باريس ، جاء رئيس الشرطة مع أفراده لتوديع الإمام فشكرهم الإمام وتليت كلمة الشكر ثم أعطيت لهم فقال رئيس الشرطة جملة رائعة ـ من وجهة نظري ـ إذ قال : لقد قابلنا ببركة وجودكم في نوفل لوشاتو شخصيات لم نكن لنقابلها أبداً طيلة أعمارنا . . .

الطائرة تحلق في سماء طهران وقلوب الجميع تدق . لقد جاءت لاستقبال الإمام جماهير طهران وكذلك أبناء المحافظات وصلوا المطار لاستقباله . وبينما الطائرة تحلق في الجو سمعنا نداء باللغة الفرنسية فانتاب الخوف الجميع والشخص الوحيد الذي لم يجد الخوف إليه سبيلاً هو الإمام ، وبعدها سألت أحد الأخوة عما جاء في النداء فأجابني انه يقول ان لجنة الإستقبال غير مستعدة الآن لاستقبالنا ويجب علينا ان نحلق في الجو مدة ربع ساعة أخرى . ثم هبطت الطائرة . وكان الإمام في المطار بين الجماهير المحتشدة والغارقة في بحر من المشاعر . وبعد ان انتهت مراسيم المطار أراد الإمام ركوب السيارة للذهاب إلى

(بهشت زهراء) فقام عدد من ضباط القوة الجوية بمحاصرة الإمام وهم مسلحون والسيارة تنتظر على مدرج المطار وكان احتمال الخطر كبيراً ، وكانوا يمنعون الناس من الإقتراب من السيارة وقبل ان يركب الإمام السيارة توجه نحو الضباط قائلاً بصوت حاد : « إلى متى تبقون نياماً أيها الضباط ، استيقظوا ، ان بختيار الخائن قد أراق ماء وجوهكم » .

وكان لكلمة الإمام هذه من الأثر بحيث ان جميعهم ابتعدوا عنه عدة أمتار مطأطئين برؤوسهم .

* * * * *



الامام قدوة

بقلم

حجّة الإسلام كريمي

١٤٩

الإمام يسع الناس بأخلاقه

إن الأعمال الاختيارية التي تصدر من فاعل مختار ، لها مظهر محس وجلي للعيان ، فأما أن نرى هذا المظهر باعيننا أو نسمعه بآذاننا ، ولكن الذي يهمنا من هذه الأعمال الإختيارية هو أساسها وجذورها الذي يصدر الفعل استناداً إليه أي : دافع الشخص ونيته التي يصدر العمل فيه بموجبها ، وقد اشير إلى هذه النية بكثرة في الروايات وقد نقل عن المعصومين قولهم (نية المؤمن خير من عمله) .

وعلى هذا الأساس فإنني إذا اردت التحدث عن طريقة التعامل الاجتماعي لدى استاذي الكبير سماحة الإمام ـ قدس سره ـ فإني استطيع فقط أن اوضح اعماله الخارجية المنظورة ، ونحن لو تأملنا في اعماله التي تكشف عن دافع خاص وتعرفنا عن طريق ذلك على نيته السامية في تعامله واقواله فعند ذلك يتضح لنا انه ذو روح عظيمة ومقام سام يعيد إلى الأذهان ـ بعد مشاهدة اسلوبه ـ اسلوب الأنبياء ، والمعصومين . ينقل التاريخ أن أمير المؤمنين (ع) كان يمتلك

صفتين متقابلتين ومتناقضتين في الظاهر : الشدة وعدم الرحمة مع الأعداء ومثال الرحمة والعطف أمام الضعفاء والعاجزين . ونحن نرى هاتين الصفتين المتناقضتين لدى الإمام ، فقد كان ينزعج كثيراً من النقائص الاجتماعية وتقصير المسؤولين . ويتصرف تجاه ذلك بشدة وصرامة دون أن يخشى احداً . وكان المصداق الواقعي لعبارة (لا تأخذه في الله لومة لائم) . لقد كان هذا الرجل العظيم مع هذه الشدة والصلابة إذا صادف احد البائسين استولت عليه حالة من العطف والرحمة والشفقة . كان برنامج الإمام أن يحضر في كل ليلة مدة نصف ساعة في غرفة الاستقبال حيث كانت تطرح بعض المسائل فيتفضل ببيان بعض الأمور ليذهب بعد ذلك إلى زيارة حرم جده أمير المؤمنين (ع) .

وفي إحدى الليالي جاء رجل فقير إلى الغرفة يطلب حاجة ، فلم يعامله بعض الذين كانوا مسؤولين عن إدارة المنزل معاملة حسنة ، ولما كان الإمام يراقب الوضع عن بعد فإنه عندما نهض ليذهب للزيارة ووصل إلى الباب قال للمسؤول معترضاً بشدة : أي نوع من المعاملة هذا ؟ فاعتذر المسؤول قائلاً : لقد جاء هذا الرجل بالأمس وكذلك بالأمس الأول . فقال الإمام : دعه يأت انه محتاج وقد أجبرته حاجته على القدوم ، وصاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا حاجته ، فإما أن نقضي حاجته ، أو نرضيه بقول ما ، لا تجرحوا مشاعر الناس .

لقد كان الإمام غاضباً لدرجة ظهرت عليـه آثار الغضب والانزعاج بسبب هذا التعامل مع صاحب الحاجة .

وبهـذا الشـأن نفسـه كـان يـذكـرنـا مـراراً ـ أنـا وبقيـة المسؤولين ـ ويقـول : كـل من يـأت لا بـد وأن تكـون لـه حاجة ، وقد يكون حل عقدته ومشكلته هنـا ، ربما لا تكـون لدينا تلك الامكانيات التي تجعلنا نلبي حاجة جميع الافراد ، ولكننا مسؤولون أن نتعـامل بشكـل يرفـع عنهم الانزعـاج في الأقل .

وهنـا يتذكـر المرء قـول أميـر المؤمنين (ع) : انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .

* * *

الامام امام مشاكل الحياة

من القصص التي أتـذكـرهـا وتبين تعـامـل الإمـام مـع النـاس ـ وربما لم أقصهـا قبل الأن ـ وكنت أنـا أحد أطـرافها هي أنه كان هناك شخص ساذج يبدو أنه كان غاضبـاً منا لأنـه كان يتصور أننا نسبب أزعاجه في الوقت الـذي لم تكن لدينـا أية نية لأزعـاجه ، وكـان قد ذهب إلى الإمـام وقال عني أمـراً وفي الليـل طلبني الإمام وتكلم معي بلطف قـائـلاً : إن هـذا شخص بسيط وتدور في ذهنه هذه الفكرة وهو منزعـج لذلـك فـاذهب إليه واخـرج هذه الأوهـام من ذهنه لكي يخـرج هـذا الغيظ من قلبـه ويرتـاح . وبعد ذلـك شـرح لي الإمـام درسـاً

مفصلاً حول ذلك وكان بحق درساً مفيداً وأرجو من الله أن يوفقني أن أعمل بدرسه وتوجيهاته .

الشيء الآخر الذي أحب أن اوضحه أن الإمام كان يتعامل مع الناس ـ أثناء وجوده في النجف الأشرف طيلة خمسة عشر عاماً ـ معاملة لم تتغير أبداً فكان يعامل الظالمين بشكل معين ويعامل المحتاجين والمظلومين بشكل آخر ، وقد توضح لنا بشكل قاطع أن لهذه المعاملة وهذا التصرف دافعاً ربانياً . وهنا نتذكر قول أمير المؤمنين (ع) : الذي مضمونه : (لم أقدم على عمل إلا ورأيت الله فيه وقبله وبعده) .

إن أسلوب الإمام هذا ذو قيمة عالية لأنه كان في أحلك الظروف ـ بالمقياس الإلهي ـ له القابلية على أن يسيطر على أعصابه بكل ما لهذا التعبير من معنى ، وأن هذا الكلام يسهل جداً قوله ولكن تطبيقه والعمل به صعب جداً ، إنه يتطلب شخصاً كأمير المؤمنين حينما طرح (عمر بن عبد ود) على الأرض وهم بقطع رأسه فبصق عمر في وجهه ، فما كان من الإمام إلا أن نهض وصبر قليلاً ثم عاد وقطع رأسه وعندما سئل : لماذا فعلت ذلك ؟ قال : (صبرت حتى يذهب الغضب عني حتى لا يكون قتلي إياه بسبب انتقام شخصي وانما يكون خالصاً لوجه الله تعالى) .

وإن أردت الإستمرار في الحديث عن هذا الجانب فسوف أحتاج إلى أيام وأشهر إذ أن عظمة روح الإمام بدرجة

من الوسع والرحابة بحيث لا تنحصر بقصة أو قصتين أو عشر قصص كان أعز الناس وأقربهم إلى الإمام ولده المرحوم آية الله الحاج السيد مصطفى فقد كان بالإضافة إلى كونه ابنه ، فهو صديقه في النضال ومؤنسه في غربته ونظيره في التفكير في حركته الثورية وأحياناً طرف في نقاش المسائل العلمية . والخلاصة انه كان سنداً كبيراً له ، لقد كان الإمام يحسب له حساباً كبيراً ولم يكن ذلك بسبب العلاقة الأبوية بل بحساب مستقبل الإسلام والمسلمين . ان هذا الولد الذي كان يحتاج الإمام إليه أكثر من غيره ، اختطف منه ، ولكن ذلك لم يحدث أي تغيير وأن يكون طفيفاً في برامج الإمام وأموره التي كان يديرها . إن مصيبة هائلة ومؤسفة كذلك تحدث ولا تتعطل دروس الإمام وبرامجه الإجتماعية والسياسية بل أن صلابة الإمام وحزمه يزدادان بسبب ذلك ، إني لن أنسى أني كنت في تلك الأيام إنظر إلى وجهه فأرى أنه قد تجسد فيه ما ينقله التاريخ عن أبي عبد الله عليه السلام ، حيث يقولون عن هذا الإمام المعصوم أنه كلما ازدادت عليه المصائب والبلايا واشتدت يوم عاشوراء أشرق وجهه . لقد شاهدنا أن الإمام الخميني كان كجده صامداً أمام مشاكل الحياة بحيث أني لم اشاهد طيلة عمري الذي صادفت فيه (٢٥) من كبار مراجع الشيعة سواء في النجف أو في إيران ، معنويات كالتي عنده ، وهذه الروح المعنوية هي التي جذبتني وبقية الأخوة إليه ، وكنا نفخر أننا نعمل في خدمته .

التزام الامام باحترام العلماء

لا بد لكل مسؤول أو مرجع من مواجهة بعض المشاكل في محيطه ، وما أكثر ما تعرض هذه المشاكل على بعض الأفراد ، ومن الطبيعي أنه لو تحمل شخص ما مسؤولية إدارية واجتماعية فإنه سيواجه بعض العقبات في طريقه مما يسبب له عدم الإرتياح ، وقد تعرض هذه المشاكل أحياناً في الجلسات الخاصة أو العامة وعلى الأفراد الآخرين . لما كانت الحوزة العلمية في النجف الأشرف تفتقر إلى عامل الإرتباط والتنسيق وعلى المستوى المطلوب لذا فقد كانت هذه العقبات تواجه طريق الإمام شاء ذلك أم أبى ، طول مدة نفيه في العراق البالغة (١٥) عاماً ، ومما يؤسف له ، أن لو تحقق هذا التنسيق والإرتباط بين الحوزة العلمية في قم المقدسة والنجف الأشرف من أول يوم ، لما تأخر انتصار الثورة الإسلامية ١٥ عاماً . ومع وجود جميع هذه العقبات والموانع فقد كان الإمام يعتقد أنه يجب السعي بكل جد لإقامة نظام العدل الإسلامي في المجتمع المسلم ، ويؤمن أن الإسلام دين النظام والقانون وليس كالمسيحية التي هي دين الكنيسة فقط ، فالاسلام يهتم بشؤون السوق والثقافة والجيش والمصانع والمزارع وهكذا جميع جوانب معيشة الناس حيث وضع لها برامج ومناهج وبسبب هذا الإعتقاد الذي كان يخالفه فيه الآخرون لأسباب يعرفونها هم ، فقد كانت تبرز بعض المشاكل في الساحة بصورة اضطرارية .

حتى أني اتذكر أنه حينما شرع الإمام في بحث مسألة ولاية الفقيه ، عقدت جلسات في النجف ضد هذا البحث والخلاصة أن أرضية المشاكل كانت مهيأة من كل ناحية . وكان الإمام أحياناً يبرز بعض ردود الفعل تجاه ذلك ، ولكن في الوقت نفسه لم يتفوه بكلمة واحدة حول هذه المواضيع تجاه أحد ، وقد وطن نفسه على الصبر في مثل هذه المواقع لوجه الله تعالى . وكان ثبت الجنان مسيطراً على أعصابه وإن لم يكن هذا الأمر ذا جذر إلٰهي فإنه كان يجب على الأقل أن يذكر اسم أحد ولو لمرة واحدة ويبين تضايقه لبعض المقربين .

والأسمى من ذلك أنه بعد سنة ١٣٩٠ هجرية حدثت في حوزة النجف الأشرف حوادث أدت إلى تعليقات وأحاديث دارت في بعض مجالس العلماء ولكن الإمام في تلك الأيام أوصى : أنه لا يحق لأحد أن يتفوه بكلمة واحدة حول الآخرين في مجالسه بأي حال من الأحوال .

وفي السحر الموحش لآخر ليلة قضاها الإمام في النجف الأشرف ، ذهبت إليه لأخذ منه بعض التوجيهات وكانت حالة من التأثر قد انتابتني إذ كنت أرى انه ينوي مغادرة النجف بعد أن كان ملجأي وملاذي بعد الله وحرم أمير المؤمنين (ع) (وكنت أردد) : إلٰهي ماذا سيحدث في الليلة القادمة والليالي الأخرى التي سنحرم فيها من وجود الإمام في النجف ؟ كانت أمامنا ألف مسألة غامضة ، وكانت

العبرة قد خنقتنا إلى درجة قلت فيها بضيق شديد : سيدنا ألا يمكن أن تصرف النظر عن هذا السفر ؟ إنك تسافر الآن إلى الكويت وليس هناك مكان آمن ولا سورية كذلك . وإيران وضعها بهذا الشكل فإلى أين تريد الذهاب ؟ .

فقال الإمام أن قصتنا مع هؤلاء القوم انتهت في شهر رمضان حيث جاءوا إلى هنا عدة مرات ، ولن يسمحوا لي بعد الآن أن أبقى هنا ، ولا أستطيع البقاء . يجب أن أذهب من هنا مضطراً ، ثم قال : لقد كنت هنا مستأنساً بزيارة حرم أمير المؤمنين (ع) ، حقاً لقد كان دائباً على زيارة الحرم المطهر كل ليلة وعلى زيارة أبي عبد الله (ع) ، في أيام زيارته لكربلاء المقدسة .

* * *

صبر الامام وبرنامجه العبادي

إننا نقرأ في زيارة الأئمة : انكم أحياء ، تسمعون كلامنا وتجيبوننا ولكننا لا نسمع كلامكم ، لقد كان الإمام حين يزور العتبات المقدسة وقبور المعصومين الطاهرة وكأنه يرى الإمام (المعصوم) ماثلاً أمام عينيه . قال الإمام في آخر ليلة له (في النجف) وبكل حسرة : (لقد كنت مستأنساً هنا بالحرم المطهر ولكن الله وحده يعلم كم عانيت خلال هذه المدة من أهل هذه الديار) وذكر كناية عن بعض العذاب الذي تحمله خلال تلك المدة . أجل ، الله وحده يعلم كم وضعوا في طريقه العقبات ليتراجع عن تحركه مما يذكرنا

بجده العظيم أمير المؤمنين (ع) حينما كان يقول : بعد وفاة رسول الله حصل كذا وكذا ، لقد سعت الدنيا كلها لكي ينثني علي (ع) عن عزمه ولم تفلح في ذلك ، واليوم يتحمل ابنه جميع المشاكل والمصاعب والنفي في سبيل الله وفي سبيل خدمة عباده ومن أجل كسب رضا الله ، ولم يعاتب في ذلك احداً لقد كنا نسمع هذا السلوك في تاريخ الأنبياء والمعصومين وشاهدناه من الإمام بأم أعيننا .

وأما التزامه بتلاوة القرآن وقراءة الأدعية والعبادة فهو جزء مهم ـ من سلوكه ـ ولا يمكن لأحد أن يفهم هذا السلوك ما لم يشاهده عن كثب ، إن هذا الرجل التاريخي العجيب والنابغة كان حين يبحث المسائل العلمية يحقق فيها بشكل واسع وكأنه غارق في العلم ولا علاقة له بشيء غيره ، وعندما كان يدور نقاش سياسي كان يبدي وجهه نظره من جميع الابعاد وكأنه قضى عمره في الأمور السياسية ، وكان في عبادته عابداً من الدرجة الأولى وهو يقف في المحراب ويناجي ربه وكأنه ترك الحياة وشغل نفسه بالعبادة ، والخلاصة أنه كان في كل مجال إنساناً كاملاً .

وردنا من الأئمة أنه ينبغي للمؤمن أن يقسم أوقاته فقسم (يناجي به ربّه) وقسم لتأمين المعيشة و . . . الإمام عنده برنامج منظم كهذا فحتى عبادته تتم وفق نظام معين فهناك وقت لتلاوة القرآن ووقت لقراءة الدعاء وهذا النظام مرتب بشكل لا يتخلخل ابداً . لقد كان يتقيد بالعبادة بدرجة ربما

جعلت البعض يفكر مع نفسه : كيف يمكن يا ترى لشخص يريد اسقاط نظام معين وإقامة نظام العدل الإسلامي الذي يبني العالم ويجلب السعادة لجميع البشرية مكانة في المجتمع ، ومع كل هذه المشاكل السياسية ، كيف يمكن له أن يصرف جزءاً كبيراً من وقته للعبادة وتلاوة القرآن وقراءة الأدعية .

مرة أخرى نتذكر هنا أمير المؤمنين (ع) حيث يروي أنه في حرب صفين ولما حان وقت الصلاة ، قال له بعض الأصحاب : لقد حان وقت الصلاة وعلى الفور استعد الإمام للصلاة ، فقال له أحدهم : إنك مشغول بالحرب الآن ، فأجابه الإمام : نقاتل من أجلها ونتركها ؟

* * *

برنامج الزيارة والبحث العلمي لدى الامام

من اللافت للانتباه أن زيارة الإمام الخميني لحرم أمير المؤمنين (ع) تتم بكل أدب ، حيث كان يقرأ إذن الدخول ثم يدخل الحرم من جهة أسفل القدم (قدم أمير المؤمنين) وكان يلزم نفسه أن لا يمر من أعلى الرأس الشريف لأمير المؤمنين (كما أوصي به في الروايات) وحين يصل أمام الضريح الطاهر يقرأ زيارة (أمين الله) أو أية زيارة أخرى بكل إخلاص ، ثم يعود إلى ناحية أسفل القدم ويصلي صلاة الزيارة ويقرأ الدعاء جالساً ثم يصلي ركعتين

ويقـوم من مكانـه فيخرج من الحـرم بكل إخـلاص ومـراعـاة للآداب .

وكان له أيام الزيارة وأيام الجمع برنامج منتـظم وخاص للدعاء والصلاة وتلاوة القرآن بحيث أنه لو كـان هناك شخص لا عمل له إلا هذا لم يستطع الإتيان بعبادته بهذا النظام .

أمـا بـرنـامـج الإمــام في البحث العلمي فهـو عجيب ومدهش . إنني طوال هذه المدة ـ التي أستغرقت نيفاً وثلاثين سنة ـ والتي خدمت فيهـا الكثير من الأسـاتذة والمـدرسين في حوزتي قم والنجف ، وطالعت فيهـا كتب المؤلفين إلى الحد الذي وفقت إليه وتوفر لي الوقت ، واطلعت بنسبة معينـة على وجهات نظر المحققين ، وبعـد البحث في كل ذلـك وجدت أن كـلاً من المحققين اتخذ بعـداً واحـداً من وجهـات النـظر العلمية ، إن أهل الخبرة الذين يـراجعون كتب فقهـاء الشيعة الكبار يدركون جيداً ما اريد قوله الآن .

لقــد كـان الإمــام حين يـدخــل المسـائــل العلميـة والتحقيقية ، يبحث جميع أبعـاد المسألـة بدقـة وبشكل واف بحيث أن الذي كان يجلس مستمعاً لأقواله العلمية يجـده غنياً عن مراجعة كتب الآخرين وأقوالهم ، وكان يبحث الموضـوع بدرجة لا تبقي أية نقطة مبهمة فيه .

ويمكن ايجـاد نمـوذج ذلـك في بحثين علميين وقيمين جداً طرحهما في النجف الأشرف ، أولهما بحث البيع الـذي

بحثه من بداية موضوع (خيارات البيع) إلى آخره والآخر بحث (الخلل في الصلاة) وقد طبع كتابه هذا ـ والحمد لله ـ تحت إشرافي أنا وأخي العزيز حجة الإسلام والمسلمين خاتم ، وكان الكتاب يختص بدورة المكاسب وبحث الخلل ، ثم وضع في متناول الأيدي ، وخير شاهد على صدق كلامي هو هذا الكتاب الذي إن طالعته تجد انه أدى حق الموضوع بشكل تام .

وهنا يجب أن أقول أن شخصاً كالإمام الخميني بهذا المقام العلمي وذلك البعد في النظر السياسي والتفكير البعيد الأمد يحق له أن يقول : إني نائب ولي الأمر سلام الله عليه ، وحقاً يجب أن يكون نائب إمام الزمان شخصاً ممتازاً كالإمام يمكنه تجسيد خصوصيات ولي الأمر بين المجتمع بأسلوبه وقوله وتفكيره . وعلى هذا الأساس يمكننا اعتبار الإمام ـ بهذه الخصوصيات ـ نائب إمام الزمان حقاً .

* * *



الامـــام قـــدوة

بقلم

حجّة الإسلام

السيد أحمد الخميني

عبادة الإمام وعرفانه

ليست عبادة الإمام وارتباطه بالله من الأمور التي أستطيع وصفها وقد اتصلت ـ قدر استطاعتي ـ بأصدقاء أبي وسألت والدتي حول هذا الموضوع حيث أجمعوا أن الإمام كانت له علاقة خاصة بالله وما زال كذلك ، إنه فَان في الله ويتحدث عن معشوقه (الله) بشكل يقف له شعر المرء ، وأحياناً حين يأتيه المسؤولون أوقات المصائب والمشاكل يتكلم عن الله وكأنه لا يرى شيئاً غيره ، انه يقول : لا تخافوا إن الله معنا ، وهو متيقن من صحة قوله هذا ، معتمداً على الله وشعاع نور الايمان في قلوب الحاضرين وليس من فضول القول أن يعتبره أصدقاؤه عابداً وزاهداً ، إن صلاته في الليل ودعاءه وبكاءه وأنينه في منتصف الليل مما يبكي المرء رغماً عنه .

لقد بدأ الإمام أيام الحرب (العالمية الأولى) دراسة (منظومة السبزواري) واستغرق ذلك سنتين ثم بدأ دراسة الاسفار وبعد عدة أيام وجد أنه يستطيع لوحده قراءتها وفهم

مواضيعها ولا يحتاج في ذلك إلى استاذ ، لذا شرع في مناقشة الأسفار وفي هذه الأثناء ورد المرحوم آية الله السيد الشاه آبادي إلى قم . ويقول الإمام بهذا الصدد :

لقد لقيته (الشاه آبادي) في المدرسة الفيضية وسألته مسألة عرفانية وعندما بدأ الحديث عرفت انه من أصحاب الخبرة ـ في هذا المجال ـ فقلت له : اريد أن ادرس ـ عندك ـ فقبل بذلك بعد اصراري ولكنه فهم أني أريد دراسة الفلسفة فقلت : لقد قرأت الفلسفة وما أتيتك من أجل دراسة الفلسفة ، إني أريد دراسة العرفان فأبى ذلك ولكن بعد اصراري وافق على تدريسي (شرح الفصوص) فسألت الإمام كم شخصاً كنتم ؟ قال : عندما كان يزداد عددنا كنا ثلاثة ولكن في أكثر الأوقات كنت وحدي أقرأ العرفان لديه . فسألته : وهل درست درساً آخر لدى السيد الشاه آبادي ؟ قال : درست عنده أيام العطل وأيام الخميس والجمعة (مفاتيح الغيب) وفي الوقت نفسه الذي كنت أدرس لديه شرح الفصوص ومفاتيح الغيب كتبت حاشية على مفاتيح الغيب فسألته : وأية كتب أخرى درست لدى السيد الشاه آبادي ؟ قال : كتاب (منازل السائرين) فقلت : وكم شخصاً كنتم ؟ قال : كنت لوحدي وربما جاء شخص أو شخصان آخران أحياناً ولكنهم كانوا يذهبون بعد حين .

سألت الإمام : كيف كان (السيد الشاه آبادي) ؟ قال لقد سألته : أن دروسك التي تلقيها لا توجد في الكتب فمن

أين تـأتي بها ؟ أجـاب : هناك من يقـولها (يعني : أنهـا من عندي) ، ثم اضاف الإمام : أن له حقاً كبيراً عليّ وقد كانت له خبرة كاملة سواء في الفلسفة أو العرفـان . ربما (والكـلام للسيد أحمد) لا يوجد عندنا اليوم من له احاطة بعلم العرفان كالإمام .

ثم سـألت الإمام : كم سنـة درست العـرفـان عنـده ؟ قال : لا أتذكر بالضبط ولكنهـا استغرقت من خمس إلى ست سنـوات ، وأضـاف : كـان السيـد الشـاه آبـادي يختلف في تدريسه (شـرح الفصوص) عن شـرح فصوص القيصـري ، فقد كان يتحدث من عنده كثيراً .

كانت هذه عبارات قالها الإمام وكتبتها بنفسي .

* * *

مؤلفات الامام

سألت الإمام: ما هو أول كتـاب كتبتم؟ فقال: أظن ان أول كتاب لي أو من الأفضل ان أقول ان أول شيء كتبته كـان (الحـاشيـة على رأس الجـالـوت) وبعـد ذلـك كتبت شـرحـاً مستقلاً لهذا الحديث وكان ذلـك بعد التعلم من السيـد الشاه آبـادي ، عندمـا جاء السيـد الشـاه آبـادي الى قم لم أكن أنـا متـزوجـاً ، وبعـد الـزواج واصلت دراستي عنــده . سـألتــه (والكـلام للسيد أحمـد) كما اعـرف انك كتبت في السـابعـة والعشـرين من عمرك كتـاب (مصبـاح الهـدايـة) وهـو كتـاب

عـرفاني وفي التـاسعة والعشـرين كتبت شرحـاً لدعـاء السحر ويقـول بعضهم أيضاً انـك لم تكن متزوجـاً حين ألفت كتـاب (الأربعون حديثـاً) الذي تتعلق سبعـة أحاديث منـه بالمسـائل العقلية وثلاثة وثلاثون بالأخلاقيات .

قال: لا أتذكر بالضبط ، ولكن في تصـوري اني كتبت حاشية رأس الجالوت وشرحه أولاً ، ثم أضاف: ولكن يمكن ان يكون الأمر كما تقول .

فسكت لان المشـاكل لم تكن تسمـح (بالكـلام) أكثـر ولكني أعتقـد ان أول كتب الإمـام كتـاب (مصبـاح الهـدايـة) وثانيها شـرح دعاء السحـر والثالث كتـاب (أربعون حـديثاً) ، وكتـاب رأس الجالـوت كان بعـد وفاة المـرحوم السيـد الشاه آبـادي ومن المؤكد أنـه بعد زواج الإمـام ، ولأن زواج الإمام كان في الثامنة والعشرين من عمره والمؤكد ان الامام قد ألف كتاباً في السابعة والعشـرين فماذا كـان هذا الكتـاب؟ لا أحد يعـرف ذلك . أمـا حاشيـة فصـوص الحكم والحـاشيـة على مفتاح الغيب فمن المؤكد انه كتبها بعد التعلم من السيد الشاه آبـادي وأسرار الصـلاة أو معراج السـالكين كتبهـا أيضـاً بعـد الدراسة عند المرحوم الحاج ميرزا آقا ملكي التبـريزي الـذي كـان يدرس الأخـلاق في المـدرسـة الفيضيـة ، وسمعت ان المرحوم ميرزا جواد الآقا ملكي كان يدرس دروساً حـول هذا الموضوع ولكنه لم يكن ـ سر الصلاة ـ وقد كتب الامام رسالة الطلب والارادة حين كان يدرس الاصول .

وكشف الأسرار له قصة مستقلة ويقول الامام بهذا الصدد: كان الحاج الشيخ مهدي القمي من علماء قم وكان له ولد انحرف واعوج فكتب (أسرار ألف سنة) الذي أهان فيه الاسلام الى حد ما ، ولا أتذكر تماماً في أي مجال كان ولكني كتبت رداً على ذلك الكتاب وأسميته «كشف الأسرار» حيث كان كشف الـ(أسرار الف سنة) الذي كتبه ذلك الرجل .

وأضاف الامام: كنت ألقي الدروس وحين رأيت كتاب أسرار ألف سنة قررت أن أكتب رداً عليه فعطلت دروسي شهراً أو شهرين وكتبت هذا الكتاب .

فقلت له: هل أنت عصبي في هذا الكتاب؟ قال: لم تكن أنت موجوداً في ذلك الوقت (لترى) أية إهانات كانت بحق الاسلام .

تأليف آخر من تأليفات الامام هو (حديث جنود العقل والجهل) وهو حديث في الكافي ذكر فيه كما أظن سبعين من (جنود) العقل وسبعين من (جنود) الجهل . شرحها الامام جميعاً .

آداب الصلاة تأليف أخر للامام يشرح فيه ماذا يجب عمله عند الصلاة ثم يتطرق لسور الحمد والتوحيد والقدر وهو كتاب عرفاني كسائر كتب الامام التي هي إما عرفانية أو ذات نكهة عرفانية قوية جداً .

ومن مؤلفات الامام (الرسائل) حيث لم يطلق عليها الامام هذا الاسم ولكنها اذ تشتمل على قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) والاستصحاب والتعادل والتراجيح والاجتهاد والتقليد والتقية . فقد سميت بهذا الاسم وهي في مجلدين . ومن تأليفاته الاخرى كتاب (تحرير الوسيلة) الذي يعتبر دورة فقهية مع مسائل مستحدثة طرحها الامام ، وقد بدأ بهذا الكتاب في تركيا وأتمه في النجف حيث كتب الامام ـ في هذا الكتاب ـ حواشيه على نص كتاب (وسيلة النجاة) لآية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني واضاف إليه مسائل كثيرة ، وهناك قصة احتفظ بها حول هذا الموضوع وهي انه لما طبع هذا الكتاب في النجف كان قد كتب عليه (تأليف رئيس الحوزة العلمية في النجف) فاعترض الامام على ذلك بشدة وأمر بإرجاع ـ جميع النسخ ـ الى المطبعة ومحو ـ هذه العبارة ـ مع ان كتب المراجع تكتب مع هذه الألقاب وهو أمر عادي تجاه شخص كالإمام ولكن روح الله يتأثر من هذه الأمور ولا يمكن توقع غير هذا من قائد الثورة الاسلامية ، وقد طبع هذا الكتاب لحد الآن مرات ومرات وطبعت أيضاً عدة شروح كتبها ـ الرجال ـ العظام عليه ، وحين طبع هذا الكتاب طبع بأسماء مختلفة مثل (كتاب الفقه) أو (الوسيلة تأليف آية الله الاصفهاني) وإذا سمحت لي الفرصة فسوف أبيّن بعض المسائل حول هذا الكتاب .

تأليف آخر من تأليفات الامام كتاب البيع الذي يحوي

دروس الامام ـ التي ألقاها ـ طوال مدة خمسة عشر عاماً في النجف والذي طبع في خمسة مجلدات طبع المجلد الخامس منها في إيران بعد الثورة .

أما كتاب الطهارة فيشمل بحوث الامام في قم حيث طبعت منه ثلاثة مجلدات . أما الحكومة الاسلامية أو ولاية الفقيه فهو مجموعة تقارب (٢٠) جلسة من دروس الامام في النجف ، وعندما شرع الامام في بحث ولاية الفقيه بدأ اعتراض الرجعيين في النجف فحركوا البعض لكي يترك الدرس عدد من الذين يحضرون هذه الدروس ـ وقد نجحوا في ذلك مع الأسف إذ قال الامام ان بعضهم لم يحضر منذ بداية هذا الدرس وحتى نهايته لانهم كانوا حتماً يعتقدون بأنه يجب ان يحكم الشاه وصدام وليس الامام والمجتهد الجامع للشرائط فكانوا يقولون ان الحكومة ليست من شأن الفقيه ، وكم لاقى منهم أصحاب الامام المخلص من عذاب ومتاعب ، وبدأت النزاعات فضايقوا الامام وآذوه ، ولكنه لو كان يمكن للامام أن يعطل أعماله بسبب هذه الأمور لما انتهى به الأمر الى النجف ولترك الجهاد في قم ضد الشاه ونظامه لقد سمع الامام مثل هذا الكلام كثيراً لذا عندما كان أصحابه القليلون الصابرون والصامدون المخلصون ينفد صبرهم وتتعبهم الشتائم ، كانوا يأتون الامام ليستلهموا منه روحاً جديدة فيقول لهم : عليكم بالاستمرار في عملكم ولا تنصتوا لهذه الأقوال انكم مسؤولون وواجبكم العمل وفقاً

لمسؤوليتكم وتحمل الصعاب والشتائم بصدر رحب من أجل خلاص المسلمين وعدم ترك عملكم الصالح ، مهما قالوا لكم ومهما ضايقوكم فلن يكون ذلك بمقدار يوم واحد من الصعاب التي تحملها الرسول ، فكان أصحابنا القليلون الذين كانوا بعزيمتهم يعادلون قلة عددهم يغادرون الامام بإرادة حديد .

وكان مما فعله الرجعيون في النجف ـ وهم موجودون الآن إلقاء كتاب الحكومة الاسلامية في آبار النجف ، ذلك الكتاب الذي كان يثبت ان الحكم لرسول الله والأئمة الطاهرين والعلماء العظام الذين يملكون شروط خلافة أئمتنا العظام ، وقد انتبه أصدقاؤنا في النجف الى ان بعضهم كان يأتي الى منزل الامام ويطلبون كتباً قائلين انهم يريدون إرسالها الى البصرة أو بغداد أو المدن الكبيرة في العراق وبعد ذلك لم يكن لتلك الكتب أثر في تلك المدن ، فعرفوا بعد الملاحقة والمراقبة انهم كانوا يلقون بتلك الكتب في شط الفرات . انظروا الى اللؤم واعرفوا في أي بيئة عاش الامام خمس عشرة سنة وظل صامداً كالجبل وانتصر في النهاية ، والمؤلم أكثر انه كان يسعى في أكثر المحافل والمجالس العلمية لاثبات انه ليس للمجتهدين مثل هذا احق ، وأقسم بما تعبدون وما نعبد انه عرف فيما بعد انهم كانوا يتقاضون النقود من سافاك الشاه ، قسماً بالله انهم كانوا من عملاء الشاه ولكن أصحاب الامام هذه الفئة القليلة انتصروا أخيراً

على الفئة الكبيرة غير المؤمنة بالإسلام والأئمة الأطهار ، واستطاعوا إيصال الكتب التي طبعوها بعذاب كبير الى الدول العربية كما رأينا وسمعنا انه عثر في منزل الاسلامبولي المصري على كتاب الحكومة الاسلامية للإمام ، وفي الوقت نفسه قام أصحاب الامام الموجودون بالآلاف في حوزة قم العلمية بطبع هذه الكتب وتوزيعها بكل قدرتهم ، وحتى ان السيد لاجوردي مدعي عام طهران (حالياً) باع الكراسات التي تحتوي على هذه الدروس (دروس الامام في الحكومة الاسلاية) في محله علناً واعتقل بعد ذلك ، لقد انتشرت هذه الكتب بسرعة البرق في جميع الحوزات العلمية والمحافل الدينية وتكلف المرحوم آية الله رباني شيرازي ـ أعلى الله مقامه ـ كثيراً في نشر هذا الكتاب ، وما أحسن ما أدى أنصار الامام في إيران رسالتهم مع وجود التعذيب والسجن والنفي ، بعد ذلك نظم هذا الكتاب وقدم الى الامام ثم طبع بشكل ملخص وسوف أتكلم حول محتوى هذا الكتاب وكشف الأسرار وسائر تأليفات الامام وآمل ان أتذكر المسائل المتعلقة بهذا الموضوع واطرحها عليكم .

وعدت ان أكتب موضوعاً قصيراً حول كشف الأسرار والحكومة الاسلامية أو كتاب ولاية الفقيه وسائر كتب الامام لقد راجعت كشف الاسرار مرة واحدة ووجدت فيه أموراً كرهت أن لا أذكرها . ان هذا الكتاب شوكة ضد الظلم والعدوان واللادينية ومع انه كتب قبل أربعين سنة فهو يتمتع

بطباعـة جيدة قيـاساً مـع الكتب والجرائـد التي تعود لمـا قبل أربعين سنة ، اننا نواجه في هـذا الكتاب مـواضيع نعلم منهـا ان الامام كان منذ ذلك الوقت يفكر في الحكومة الاسلامية .

* * * * *

شكل الحكومة الاسلامية

جـاء في صفحة ١٣٨ من كتـاب (كشف الاسـرار) مـا يلي :-

ان الله تعالى يشير في هـذه الآية ﴿**أطيعـوا الله وأطيعوا الرسول والي الأمـر منكم**﴾ الى تشكيل الحكـومة الاسـلامية حتى يوم القيامة وواضح جداً انه لم يوجب حاكميـة أحد غيـر هؤلاء الثلاثة ، ولأنه أوجب على جميع أفراد الأمة طاعة أولي الأمـر فانـه يجب البحث حول من هم هؤلاء أولـو الأمـر؟ ان بعضهم يقــول انهم الملوك والأمــراء!! وان الله أوجب على النـاس طـاعـة سـلاطينهم وملوكهم!! وهــا نحن نحتكم الى العقـل الذي وهبـه الله لنا: ان إلّـه العالم أرسـل نبي الاسلام بـالآف الأحكـام السمـاويـة ووضـع أسس حكـومت .ه على مبدأي التوحيد والعدل . . هذا الإلّه نفسه الذي قـوّى أساس العدل في العالم بتضحيات المسلمين ومنع المـظالم وانتهاك العفـة ، فهل يـأمر النـاس ان يطيعـوا أتاتـورك الـذي يعـرف الجميـع ماذا فعـل بـأصحـاب الـدين وكيف ظلم النـاس؟ أم يقول يجب عليكم ان تطيعـوا بهلوي الذي رأيتم جميعـاً ماذا

صنع؟ والذي لو أراد أحد أن يعد مخالفاته الصريحة لله والقرآن فإنه قد يحتاج الى كتاب . ان هذا الإله الذي وضع الدين والعدل ويأمر بنفسه بهدم هذا البناء ، لن يقبله العلماء إلهاً عادلاً وقاسطاً وان مقام الألوهية منزه من هذه الأعمال التافهة .

وبعد هذا الموضوع ومواضيع كثيرة اخرى يقول في صفحة (٢٨١) :

ان الحكومة الوحيدة التي يعتبرها العقل حكومة الحق ويتقبلها بصدر رحب ووجه بشوش هي حكومة الله ، اننا لا نقول ان الحكومة لا بد ان تكون للفقيه بل نقول ان الحكومة يجب ان تدار بالقانون الإلهي الذي فيه صلاح البلاد والناس وهذا لا يتحقق دون اشراف عالم الدين .

هذا هو كلام الامام قبل أربعين سنة ، وفي باريس وفي جميع مقابلاته وهو يجيب على سؤال يقول ماذا تعني الجمهورية الاسلامية؟ هل هي تعني ان يكون العلماء في رأس النظام ، كان يقول بشكل قاطع :

الجمهورية الاسلامية تعني الجمهورية التي تقام بالاستناد الى آراء الناس ولكن محتواها اسلامي مائة في المائة وقال في بعض مقابلاته : ان الأشراف لعلماء الدين ، وقال في بعضها الآخر : اننا لا نريد ان يكون العلماء على رأس الحكومة كلا ، بل العلماء مراقبون حتى لا يحصل ما

يخالف الاسلام . وهنا برز سؤال يقول:

لماذا إذن أصبح العلماء على رأس الحكومة فرئيس الجمهورية عالم وبعض الوزراء علماء؟ وقد أجاب الامام هذا السؤال هكذا: انظروا الى الحكومة المؤقتة حيث لم يكن فيها عالم واحد حتى وزارة الارشاد أعطيناها لغير العالم . لقد كان هذا العمل نتيجة للتفكير الذي كان سائداً في باريس (لدى الامام) ولكننا رأينا بعد ذلك انه لم يحصل ما أراده الناس ونحن من مراعاة الأمور الاسلامية مائة في المائة ، لقد قلنا اننا لن نضع عالم الدين في الرأس (رأس الحكومة) ولكن بشكل مطلق حتى لو كان غير عالم لا يؤمن بالاسلام ، كلا اننا حين يكون العالم وغير العالم متساوين في جميع الأنحاء نفضل غير العالم في الأعمال التنفيذية على العالم ، ولكننا رأينا انهم لا يعملون بالاسلام بتلك الدرجة المطلوب ، في هذه الحالة لا يجيز لنا الاسلام هذا العمل ولا الشعب المسلم في إيران ، فضلاً عن ذلك انني كنت أقول هذا الأمر حول الحكومة وأقوله الآن حول القضاء الذي يجب ان يكون للمجتهد العادل ، أما المجلس فان الناس ينتخبونه ، وأقول أيضاً انه حتى في الحكومة فان وزيري الداخلية والارشاد معممان فقط ، بالاضافة الى ذلك يجب ان لا تكون العمامة سبباً في منع تعيين شخص لأداء عمل يليق به .

* * * * *

قراءة في كشف الأسرار

اننا نواجه في مواضيع «كشف الأسرار» المختلفة هجمات شديدة جداً ضد حكومة رضا خان ، ويجب ان لا ننسى ان العلماء قبل أربعين سنة لم يكن لهم نوعاً ما شأن بهذه الأمور ، وقال الامام هذه الأمور في زمان كان كثير من العلماء يحرم التدخل في هذه الشؤون وليس فقط في ذلك الوقت بل حتى حينما شرع الامام في نضاله ـ أقصد عام ١٣٤٢ هجرية . ش[1] ـ (١٩٦٣ م) ـ ففي ذلك الوقت قال بعض ممن لا يؤمن بالله ان الامام ليس من العلماء ولا من حوزة قم العلمية ، جاء في كشف الأسرار:

اننا نقول ان الحكومة ثقبت أجساد عدة آلاف من مظلومي البلاد ومزقتها في معبد المسلمين الكبير بالرصاص والحراب وفي جوار الامام العادل ، هي حكومة الكفر واعانتها تعادل الكفر وأسوأ منه .

اننا نقول ان الحكومة خالفت قانون البلاد وقانون العدل واطلقت مجموعة من المجانين المفترسين تحت اسم الشرطة في كل مدينة وقرية ليعتدوا على النساء المسلمات

(١) التقويم الهجري أما أن يكون على أساس دورة القمر حول الأرض ، وأما أن يكون على أساس دورة الأرض حول الشمس ولكن بداية ذلك من هجرة الرسول (ص) .

العفيفات البريئات ويكشفوا حجابهن بقوة الحراب ويرفسوا المحترمات ويسقطوا أطفالهن المظلومين حكومة ظالمة واعانتها تعادل الكفر .

اننا نعتبر الحكومة الدكتاتورية ظالمة وعملاءها ضالّين وجائرين ، وكل من يحترمهم فلا حظّ له من الشرف والانصاف ، وتلك الجرائد التي تؤيد الأعمال الظالمة للدكتاتور الهارب فهي تساعد المبادىء الوحشية الدكتاتورية ويجب احراق أوراقها في الميادين . وجاء في جانب آخر من كشف الاسرار: ان تلك الكلمة غير العاقلة التي ترشحت من دماغ جندي أمي (رضا خان) قد أصبحت بالية وقديمة وان قانون الله فقط هو الذي سوف يبقى ولا يبلى بمرور الايام . وجاء في جانب آخر .

ان من قال انني أفضل جندياً كان لصاً على جميع معارف ايران . لم يعرف معنى الروحانية والمعارف ومع ان معارف ذلك اليوم (معارف زمان رضا خان) كانت أقبح كثيراً من جندي لص ، لكن رضا خان لم يكن يفهم الصلاح والفساد ولم تكن ضغوطه على العلماء ومن أجل الاصلاح ، بل كان بصدد قلع الجذور من الأساس .

وجاء في جانب آخر من كشف الأسرار: ان الملالي ومنذ تلك الأيام الأولى ، اعتبروا تصدي رضا خان (للحكم) مخالفاً لمصالح البلاد وكانوا قدر استطاعتهم يفضحون الاعمال الفاسدة المخربة للناس بشكل عام وان لم يستطيعوا

فبشكل خاص وسري . وفي جانب آخر في كشف الاسرار هاجم الامام صحف تلك الايام ومجلاتها قائلاً: ان الاقلام والأوراق المخربة التي كانت في ذلك الزمان تنشر أفكار رضا خان وألفاظه غير المعقولة ، المسمومة . كانت أشد وخزاً بمئات المرات من وخز ابر الأحمديين (اتباع احمد كسروي) .

وجاء من جانب آخر من الكتاب: خلاصة القول ان هؤلاء الحكام الخونة الفاقدين العقل والأجراء الكبار والصغار العابدين للشهوة والمهربين يجب ان يبدلوا حتى تتغير أوضاع البلاد وإلاسوف ترون أسوأ من هذه الأيام ، ان الأيام التي تعيشونها الآن تعتبر جنة بالنسبة لتلك الأيام ، فهل يا ترى يمكن ان نعد بلدنا اليوم واحداً من البلدان ، اذا اعتبرنا هذه الحياة وهذه البلاد جيدة فيجب عند ذلك ان نمحو كلمة (رديء) من قاموس العالم .

في آخر كتاب كشف الأسرار أورد الامام آية: ﴿**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . .**﴾ الى آخرها ويقول: « مواطنينا الأعزاء ، أيها القراء الكرام يا أخوة الإيمان أيها الشباب المحبون لإيران ، أيها الإيرانيون الطالبون للمجد ، أيها المسلمون الباحثون عن العزة ، يا أصحاب الدين الطالبين للإستقلال:

هذه هي أوامر السماء ، هذه هي الأوامر الإلهية ، هذه هي النداءات الغيبية التي أرسلها إلّه العالم إليكم . يا أمة

القرآن واتباعه من أجل حفظ استقلال البلد الاسلامي وبقاء الرؤوس مرتفعة ، فاقرأوها وكرروا ذلك ودققوا حولها وطبقوها ليعود استقلالكم ومجدكم وتحتضنوا النصر وعلو الهمة ثانية والا فتسلكون طريق العدم والحياة المليئة بالذلة والهوان وتكونون لقمة للناهبين في العالم» .

مرة اخرى أرى من الضروري التذكير بأن هذا الكتاب قد كتب قبل أربعين سنة وربما أكثر من ذلك والأمور التي طرحها الامام هي مسائل توصل إليها أخيراً بالسعي والهمة ، وفقه الله أكثر .

* * * * *

نظرة في كتاب الحكومة الاسلامية

احدث كتاب (ولاية الفقيه أو الحكومة الاسلامية) الذي يتألف من (١٦) درساً ، ضجة كبيرة في النجف وإيران وطبيعي ان الضجة التي حدثت في النجف كانت على العكس تماماً من الضجة التي حدثت في قم وإيران ، فالتيار المتخلف في النجف سعى بكل قوته وبمساعدة الأيدي العلنية والخفية لنظام الشاه لمنع انتشار نظرة الامام الثورية بكل أبعادها ، فكانوا يمنعون بالتهديد الاشخاص الذين كانوا يحضرون درس الامام من الاشتراك في جلسة الدرس ، وأتلفوا الكثير من نسخ الكتاب ، وكانوا يحملون بعض

الأشخاص الذين لم يكونوا يدركون الامور جيداً على ان يتصلوا بالامام ويقولوا له ان النجف لا تتحمل هذا النوع من الكلام ، ولكن الامام كان اماماً يتابع عمله من أجل العالم الاسلامي لا من أجل عدة جهات مؤثرة على حوزة النجف وممن يتقولون بكل وقاحة ولا يتورعون عن كل كذبة أو تهمة يرونها مفيدة لتحقيق اغراضهم . لأدع النجف التي قضى فيها الامام وأصحابه القليلون أياماً مرّة جداً ، ففي إيران وابتداءاً في قم وطهران وبعد ذلك اصفهان ومشهد والمدن والاخرى انهمك أصدقاء الامام وأنصاره باستنساخ دروسه ، ووفقوا في ذلك والحمد لله . وفي هذا الكتاب الذي يتألف من أكثر من (٢٠٠) صفحة استند أكثر على انه يجب البدء من الصفر . وفي بعض الصفحات جاء الموضوع بشكل يستفاد منه انه يجب الاعتماد على النفس ويجب الوقوف بوجه الدعايات المغرضة التي تقول اننا لا نستطيع ان نحكم اني لا أفكر أبداً ببحث هذا الكتاب بل أذكر عدة مواضيع منه وأدعو القراء الى قراءته ، لقد حمل الامام على البيروقراطية التي كانت في إيران وهو يؤمن ان حكومة الاسلام لا ترافقها هذه المراسم ، وقد جسد لنا (الامام) الاستعمار والذين يسعون في الداخل والخارج باستعمارنا أكثر ، وذكر دور الاعلام في هذا المجال ، ونقل أدلة وجوب تشكيل الحكومة من القرآن والسنة و(بحث في) شكل الحكومة الاسلامية واختلافها عن سائر أشكال الحكومات وشروط الحاكم وكذلك شروطه في مرحلة الغيبة التي تؤول الى الفقيه ،

والـولاية الاعتبـارية والـولاية التكـوينية وان الحكـومـة وسيلة لتحقيق الأهداف الإلهية والإنسانية العالية والخصـال اللازمـة لتحقيق هذه الأهداف وإثبات ولاية الفقيه عن طريق النص ثم خطة النضال من أجل تشكيل الحكـومة الاسـلامية والمقـاومة في النضـال الطويـل وإصلاح الحـوزات العلمية ومحـو آثـار الاستعمـار الفكـريـة والأخـلاقيـة حتى يصـل الى إصــلاح المتلبسين بـالقـداســة وتصفيـة الحــوزات وأخيـراً إسقــاط الحكومات الجائرة .

علينـا ان نسعى بجد لتشكيـل الحكومـة الاسـلاميـة ، ونبدأ عملنا بالنشاط الدعائي ونتقـدم فيه . ففي كـل العالـم ، على مـر العصور ، كـانت الأفكار تتفـاعل عنـد مجموعـة من الأشخـاص ثم يكـون تصميم وتخـطيط ، ثم بـدء العمــل ، ومحـاولة لنشـر هذه الأفكـار وبثهـا من أجـل إقنـاع الآخـرين تدريجياً . ثـم يكون لهؤلاء نفوذ داخل الحكومـة يغيرهـا على النحـو الذي تـريده تلك الأفكـار ويريـده ذووهـا ، أو يكـون هجوم من الخارج لاقتلاع اسسها واحلال حكومة قائمـة على هـذه الأفكار محلهـا . والأفكـار تبـدأ صغيـرة ثم تكبـر ، ثم يتجمع الناس من حـولها ثم تكتسب القـوة ، ثم تأخـذ بيدهـا زمام الأمور . ولـم تكن القوة ـ كما تـرون ـ حليفة الافكـار من أول يوم . وفي هذا كله ينبغي ان تتخذ من الشعب بكل قـواه قاعدة رصينة يرتكـز عليها ويـركن إليها ، مـع العمل الـدائب على التوعية الجماهيرية من أجل فضح خطط الاجرام وكشف

الانحـراف الموجـود لدى السلطات الـوقتية ، ويتم تـدريجياً استقطاب الجماهير كل الجماهير ، ويتم الوصول بعـدها الى الهدف . أنتم اليوم لا تملكون دولة ولا جيشـاً ولكن تملكون ان تـدعـوا فلم يسلبكم عـددكم هـذه القـدرة على الـدعــوة والتـوجيـه والتبليـغ . وعليكم ـ الى جـانب بيـان المسـائــل العبادية ـ أن تبينـوا للناس المسـائل السيـاسية في الاسـلام ، واحكـامه الحقـوقية والجنـائية والاقتصـاديـة والاجتمـاعيـة ، واتخذوا من هذا محوراً لعملكم . علينا من الآن وضع أسس الدولة الاسلامية الشرعية فنبث الأفكـار ، ونصدر التعليمـات ونكسب المسـاندين والمؤيـدين ونوجـد التـوجيـه الـواعي ، والإرشـاد المنسق للجماهيـر ليحصل رد فعـل جماعي تكـون على أثره جموع المسلمين الواعية المتمسكة بدينهـا على أتم الاستعداد للنهوض بأعباء تشكيل الحكومة الاسلامية .

وجاء في مكان آخر من هذا الكتاب : وعظماء الرجـال يخـططون للأجيـال القادمـة ، ولا يحزنهم ان لا يلمســوا آثار خططهم ما دام المستقبل كفيلاً باعطاء النتائج والثمرات . ولا يداخلهم اليأس حتى في ذل الأسـر ، وفي أغوار السجـون . ومن أجـل الانتصـار لـلأهـداف الكبيــرة فهم يخـططون في السجون لما يسعد الأجيال القادمة وليس كل همهم ان يصلوا الى مـا يريـدون . وكثيـر من الحـركـات والنهضـات أخـذت شكلها النهائي بعد تمهيدات قد ترجـع في بعض الأحيان الى مـا قبـل مئتين أو ثـلاثمئـة سنـة . وبـالكلمــات التـاليــة من

الصفحات الأخيرة من كتاب «ولاية الفقيه» انهي مقالي حول كتب الامام وذات يوم اجتمع في منزلي: المرحوم آية الله البروجردي، والمرحوم آية الله حجت، والمرحوم آية الله الصدر، والمرحوم آية الله الخونساري، للتداول في أمر سياسي مهم. فتقدمت اليهم ان يحددوا موقفهم من هؤلاء المتظاهرين بالقداسة البلهاء وان يعتبروهم اعداء من الداخل. لأن هؤلاء لا يهتمون بما يجري، ويحولون بين العلماء الحقيقيين وتسلم السلطة والأخذ بزمام الأمور. فهؤلاء يوجهون أكبر لطمة للإسلام، ويشكلون أكبر خطر عليه، ويبرزون الاسلام بصورة مشوهة كأقصى ما يكون التشوه. ويوجد من هؤلاء كثير في (النجف) و(قم) و(خراسان). ولهم تأثير على البسطاء والبله من أمثالهم من الناس. هؤلاء يعارضون من يصرخ في الناس لإيقاظهم مما غطوا فيه من السبات. هؤلاء يدعون الناس الى الكسل والتخاذل. هؤلاء يعارضون من يعارض ويقاوم نفوذ الانكليز والامريكان. علينا أولاً ان ننصح أمثالا هؤلاء ان يرجعوا عن غيهم، وننبههم على الخطر المحدق بالاسلام والمسلمين، وان نفتح أبصارهم تحت ضوء الشمس على الخطر الصهيوني والانكلو ـ أمريكي الذي يمد الكيان الاسرائيلي بمقومات الحياة. لا تطفئوا النور وتنغمروا في أمواج الظلام كما فعل النصارى قبلكم، فقد ألهاهم البحث في التثليث والأقانيم وروح القدس والأب والابن، ولم يبق لهم شيء آخر، تيقظوا وانظروا الحقائق كما هي. تداولوا مسائل حياة

اليوم والغد . أتتوقعون أنتم بوضعكم هذا ان تضع الملائكة أجنحتها تحت أقدامكم إكراماً لكم؟ ألم تكن الملائكة في شغل شاغل عنكم؟! الملائكة تضع أجنحتها تحت أقدام أمير المؤمنين (عليه السلام) لسابقته وخدمته ونشره للإسلام في الدنيا كلها . فالملائكة تخضع له ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم ، لأنهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده ، وفي كلامه وصمته ، وفي خطبه وصلواته وحروبه . ماذا تستحقون انتم من ذلك التعظيم؟ لا شيء !!

نحن نكلم هؤلاء المتقدسين بمثل هذا الكلام . فان نفعت الذكرى فذاك ما نريد ، والا كان لنا معهم حساب آخر ، وموقف آخر . .

* * * * *

إقرأوا وطبقوا

فيما يلي رسالة كتبها الامام سنة ١٣٦٣ هـ وتبين صموده وثباته الفكري والسياسي منذ البدء وحتى الآن :ـ

بسم الله الرحمن الرحيم
« إقرأوا وأطيعوا »

قال الله تعالى : ﴿قل انما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى﴾ . لقد بين الله تعالى في هذا الكلام الشريف مسير البشرية منذ أول منزل للطبيعة الظلماء وحتى نهاية هذا المسير . وهو أفضل موعظة اختارها إلّه العالم من بين جميع

المـواعظ . واقتـرح على البشـر هـذه الكلمـة الـواحـدة التي ينحصر فيها طريق إصلاح الدارين : وهي القيام لله الـذي بلغ بـإبراهيم خليـل الـرحمن منـزل الخلد وأطلقـه من المـظاهـر المهتلفة لعالـم الطبيعة خـاض إبراهيم في علم اليقين حتى قـال لا أحب الآفلين القيام لله هـو الذي سلط مـوسى الكليم بعصاه على آل فرعـون ، ودمر عـروشهم وتيجانهم ، وأوصله الى ميقات المحبوب ومقام الصحو ، والقيـام لله الذي جعـل خـاتم النبيين صلى الله عليـه وآلـه يتغلب وحـده على جميـع العـادات والعقـائـد الجـاهليـة ، وازال الأصنـام من بيت الله ووضع مكانها التوحيد والتقوى وأوصل ذاته المقدسة الى قاب قـوسين أو أدنى ، وحب الذات وتـرك القيام لله أوصـلانا الى هذه الأيام السـود ، وسلط أهل العـالم جميعاً علينـا ، وجعل البـلاد الاسلاميـة تحت نفوذ الآخـرين ، فالقيـام للمصـالـح الشخصيـة هو الـذي خنق روح الوحـدة والأخـوة بين الشعب المسلم ، والقيام للنفس هو الذي فرق أكثر من عشرة مـلايين شيعي وفصلهم عن بعضهم فأصبحوا لقمـة (في أفواه) حفنـة من عباد الشهوة الجالسين وراء الموائـد ، القيام لأجـل الفرد هو الذي يسلط شخصاً مازندرانياً[1] أميـاً على مجموعـة يبلغ عـددهم عـدة مـلايين لكي يجعـل حـرثهم ونسلهم عـرضـة لشهواتهم . القيام لأجل المصلحة الشخصية هو الـذي جعل

(١) نسبـة إلى مازنـدران؛ تقع في جنـوبي بحر قـزوين ، ومن مـدنهـا (آمل وبابُل) .

عدة أطفال يجوبون الشوارع يتحكمون الآن في جميع أنحاء البلاد بأموال المسلمين ونفوسهم وأعراضهم . القيام من أجل النفس الأمارة الذي سلم مدارس العلم والمعرفة إلى حفنة من الأطفال البسطاء ، وجعل مراكز العلم والقرآن مراكز للفحشاء ، القيام للذات هو الذي سلم موقوفات المدارس والمحافل الدينية مجاناً إلى حفنة من التائهين ولا أحد يتنفس ، القيام للنفس وهو الذي رفع حجاب العفة من على رؤوس النساء المسلمات العفيفات . والآن أيضاً يسرى هذا الأمر المخالف للدين والقانون في البلاد ، ولا أحد يقول شيئاً ضده ، القيام من أجل المصالح الشخصية جعل الصحف التي هي وسائل لنشر الفساد الخلقي تنفذ اليوم الخطط نفسها التي ترشحت من الدماغ الجاف لرضا خان عديم الشرف وتنشرها بين الجماهير ، القيام للذات أعطى مجالاً لبعض هؤلاء النواب المهربين لكي يقولوا ما شاؤوا في البرلمان ضد الدين والعلماء ولا أحد يتنفس . فيا أيها العلماء المسلمون الربانيون ، أيها العلماء المتدينون أيها المتحدثون الذين يحبون الشريعة ، أيها المتدينون المحبون لله ، أيها المحبوب لله الطالبون الحق ، أيها الطالبون للحق الشرفاء ، أيها الشرفاء الوطنيون ، أيها الوطنيون أصحاب الكرامة ، اقرأوا موعظة إله العالم وتقبلوا طريق الاصلاح الوحيد الذي اقترحه واتركوا المصالح الشخصية كي تنالوا سعادة الدارين جميعها وتتمتعوا بالحياة الشريفة للدارين .

ان لله في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها . اليوم يوم هب فيه النسيم الروحي الإلهي ، وهو أفضل يوم للقيام الإصلاحي فإذا فقدتم الفرصة ، ولم تقوموا لله ، ولم تعيدوا المراسم الدينية فغدا تسلط عليكم حفنة من التائهين الراكضين وراء شهواتهم ويجعلون شريعتكم وشرفكم عرضة لاغراضهم الباطلة ، وما هو عذركم اليوم أمام إله العالم ؟ لقد رأيتم جميعاً كتب ذلك التبريزي الطائش الذي جعل جميع شرائعكم عرضة للسباب . وتجاسر كل ذلك التجاسر في مركز التشيع على الإمام الصادق والإمام الغائب روحي له الفداء ولم تصدر منكم أية كلمة ، أي عذر عندكم اليوم أمام المحكمة الإلهية ، أي ضعف هذا وأية مسكنة هذه التي استولت عليكم ؟ أيها السيد المحترم الذي جمع هذه الصفحات وأبلغها علماء البلاد والخطباء حبذا لو أوجدت كتاباً يجمع فرقتهم ويجعلهم يسيرون معاً لتحقيق المقاصد الإسلامية . حبذا لو أخذت منهم جميعاً تواقيع بحيث لو حدث تجاسر على الدين في ناحية من البلاد قاموا جميعاً من جميع البلاد وبقلب واحد ونحو هدف واحد . حبذا لو تعلمتم الدين قليلاً من البهائيين الذين لو كان أحدهم يعيش في قرية فهم يرتبطون به من مراكزهم الحساسة ، ولو وقع عليه اعتداء جزئي لنهضوا جميعاً من أجله .

انكم إذا لم تقوموا من أجل حقكم المشروع نهض الحمقى الفاقدون للدين ، وبدأوا في كل ناحية يضربون على

وتر عدم التدين ، ولسوف يتسلطون عليكم ـ أيها المتفرقون ـ قريباً تسلطا يجعل أيامكم أصعب من زمان رضا خان ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله .

*** ١١ /من جمادى الأولى / ١٣٦٣**

السيد روح الله الخميني *